

النصوص المحققة

**جواب اعتراضات ابن العربي
على شرح ابن السيد البطليوسي
لديوان أبي العلاء المعري
وضعها: أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي
(ت ٥٣٨٢هـ / ١٩٩٢م)**

الدكتور وليد محمد السراقبي (*)

قراها وعلق عليها:

المؤلف:

هو أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي : نحوي ولغوي وأديب، كان الناس يتقاطرون إليه يفترقون من علمه، ويقرؤون عليه، كان ثقة ضابطاً.
قال عنه ابن خلكان : «فكل شيء يتكلم فيه فهو غاية في الجودة»^(١). ولد سنة ٤٤٤هـ في مدينة «بطليوس»، وتوفي سنة ٥٢١هـ في مدينة بلنسية. خلف كتباً كثيرة في اللغة، والآدب، والنحو، منها: المثلث، والاختصاص في شرح أدب الكتاب، والفرق بين الأحرف الخمسة، والحلل في شرح أبيات الجمل، وإصلاح الخلل الواقع في شرح الجمل، وشرح سقط الزند لأبي العلاء المعري. قيل عنه : «إنه أجود من شرح لأبي العلاء صاحب الديوان»^(٢).

الرسالة:

تقع هذه الرسالة في خمس عشرة لوحة، وهو مكتوبة بالخط المغربي، ويضمها مجموع فيه ثماني عشرة رسالة^(٣) لابن السيد البطليوسي، وهي أولى هذه الرسائل. وهي مما وقفه محمد الكفوي على علماء جامع الأزهر وطلبة العلم فيه في رواق «الأروام». وتحفظ المكتبة المركزية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - أعلى الله بناءها - بصورة عنها، ورقمها (٤٣٢٥/ف).

جاء على الصفحة الأولى من المخطوط : «هذه مجموعة تشتمل على ثمانية عشر مصنفاً

* أستاذ مساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض - السعودية.

- (١) وفيات الأعيان ١ : ٩٦ - ٩٨ .
- (٢) ترجمة ابن السيد في : الدياج المذهب : ١٤٠ ، وفيات الأعيان ١ : ٩٦ - ٩٨ ، تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ٥ : ١٥٢ - ١٥٩ ، ودائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٠٩٢ ، والأعلام ٤ : ٢٦٨ ، وتاريخ التراث العربي لغزاد سزكين ٨ : ٢ .
- (٣) قربنا على الانتهاء من تحقيقها جميعها، وسنصدرها تبعاً، إن شاء الله.

من مصنّفات العالم النحويّ، الفاضل الكامل، صاحب لتقرير والتحرير، الفقيه النحويّ، إمام العصر في المغرب، خاتمة المحقّقين أبي محمد عبد الله بن محمد بن السيّد البطلّيوسي المغربي - رحمه الله رحمة واسعة أفادنا الله منه وأعاد علينا من موائده فوائده، وفهمنا من درر زوائده».

وكتب في وسط الصفحة أيضاً : «وقفه محمّد الكفويّ على علماء الأزهر وطلبة العلم له، ومقرّه برواق الأروام، تقبل الله منه بمنه وكرمه أمين».

وكتب في الجهة اليسرى من الصفحة تملّك نصه : «من نعم الله سبحانه على أفقر الطلاب محمد إبراهيم بن أحمد الصادق العمري الحسيني النقشبندي اغفر اللهم له ولوالديه، وكن بفضلك عليه»^(١)، وانفعه ومتعته بمطالعة وانفعه به وبسائر ما لديه من الكتب العلمية، بالنبي وآله وصحيفته . تم من نعمه سبحانه على عبده الكفوي، عفا عنه».

ثم صنع فهرست بالرسائل التي يضمها هذا المجموع، وبلغ عددها ثماني عشرة رسالة، وجميع أوراق المخطوط ثمان وسبعون ورقة.

يبلغ عدد أسطر كل لوحة (٢٥) سطراً وتتراوح كلمات كل سطر بين (١٠-١٢) كلمة. وفي بعض الأوراق طمس لبعض الكلمات، ولا سيما تلك التي تقع في الهامشين القريبين من مفصل الكتاب، وأظن أن ذلك عائد إلى مشقة فتح الكتاب على مصراعيه أثناء التصوير.

وموضوع الرسالة الرد على اعتراضات ابن العربي على ابن السيد في شرحه سقط الزند لأبي العلاء المعري، وهو دائرة حول تفسير بيت، أو خطأ في رواية، أو تصحيف في لفظ، أو غلط في ضبط .

يبدأ ابن السيد رده بقوله : «ورأيناك - أبقاك الله - لمّا وصلت إلى قوله : . . . » أو «وجدناك لما وصلت بالمطالعة إلى قوله . . . » فيذكر البيت الذي اعترض عليه ابن العربي، ويذكر موضع اعتراضه عليه، ثم يعمد إلى الرد على ابن العربي، وينتصر لقوله ويثبت صحة قوله الذي قال به، ويفند رأي ابن العربي، مستظهراً على ذلك بآي من القرآن الكريم، أو بيت من الشعر، أو برأي لعلماء اللغة، أو غير ذلك .

ولا فليم وليطعن شورا بما ضل به أخرج إلى الضلال ثم وازن ما ألقى إليك من قولهم
الله يعلو ويغشى أن تغشوا هؤلاء شيئا وهم يغشونكم اللهم باسم والحمد لله
وذلك ما أتاه لا يجرى العقل به ويغشوا بعضا من

ويعتبر ويستقيمتها قوة قد في يجرى والرماة فكلما الصلوة
في أول ما تقوله لعقل الرماة في قضا الله ما أراد أن يعطى ما يجرى
بغيري السهم ويغش من الغشوي يغشون بالزور وبغيره في العيون قد
وتستعمل الحيلة في معارضة صحتها أيا ما شئت هجعت بهما حتى فكت وتكلمت
صريح الزور ولكنك أبلغ من تغشوا شيئا معينا منها فمئة الأعراب
وهنا يتكلم الأعراب بطور من العجايب

كلما تفضلت عن سبب ما كنت من عمل وأول ما في حديثه من حديثه
والعزلة في حديثه إنك تفضل بخاصة كتابه الصولي ويحده الله في كل
كلمة أن بعض ما جرى خطا ما تور وركب كراهة يقول فيه قد تركت
خطا بل وقد أعميت عابثا فيه قد ما تور عبه وأولى خزانة وقد
عليه وقد عرفت علمنا قول الأعراب وقد جرت شيئا ما لها قسمة و
بمئة البعوضة وحسن ثابلا أعزك الله أنما تفضلت القول الخ

أرا في والفتنة من محمود ولا تستعمل في الخ البعوضة
ليغير ط تاريخه ولزوم شيء وكثير التغيير في البعوضة التي
كثيره في الكثرة من غير الأعراب وهو في البعوضة عابثا الذي قد تارة
من البعوضة بعينه قاي من لها في السحرة والفتنة الله وكل فتنة
من البعوضة الكبرياء ما تفضلت البعوضة ما تفضلت في قوله

هون من قيم العيون فعمل جهمته يهين البعوضة وتشتهر بعينها جهمته
وهي في العيون كذا في حال في البعوضة من قوله في العيون
وأش واختارها في معارضة فيها يجرى الخ من قوله في العيون
وهي في العيون كذا في حال في البعوضة من قوله في العيون
له وإن كان لم تستورب من الأعراب حيا في قوله في العيون

بعض الله
في العيون
الله من العيون
الله من العيون

بعض الله
في العيون
الله من العيون
الله من العيون

بعض الله
في العيون
الله من العيون
الله من العيون

بعض الله
في العيون
الله من العيون
الله من العيون

بعض الله
في العيون
الله من العيون
الله من العيون

صورة الورقة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً

أخبرني الفقيه النحوي أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطلوسي بهذا الجزء قراءة مني عليه، قلت له: قلت - رضي الله عنك - : إن أولى ما ابتدئ به كل ذكر، وأحجى ما تُؤمن به في كل أمر واستنجح، ذكر الله تعالى، ثم الصلاة على رسوله المصطفى الذي هدانا بهداه، وعلمنا ما تقصر عقولنا عن بلوغ أدناه، وأهدى إلينا الاستبصار مفروغاً منه، ولم يحوجنا إلى البحث بالمقاييس عنه، نشكره شكر المعترف بالعجز عن شكر نعماءه، ونسأله أن يوفقنا إلى ما يزلف إليه وبرضاه، ونستعيز به من وساوس الصدور، وعواقب الأمور.

رأيت - أراك الله منهج الحق وسنته، وجعلك من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - اعتراضات ابن العربي^(١) علينا في شرح شعر المعري^(٢)، ولنا نكر معارضة المعارضين، ومناقضة المناقضين، فإنها سبيل العلماء المعروفة وطريقهم المألوفة: [من الطويل] ومن ذا الذي تُرضى سجايأه كلها كفى المرء نبلاً أن تُعدّ معايئه^(٣) وإنما نكر من أمر هذا الرجل - وفقنا الله وإياه إلى صالح العمل - أنه تعسف وما أنصف، وجاء في المعارضة والخلاف، بأشياء استطرفتها غاية الاستطراف. وذلك أنه وجد أبياتاً أفسدها ناسخ الديوان، بالزيادة والنقصان، فعادت مكسورة الأوزان، ونبتت العين، عمّا فيها من الشين، فنبه عليها في طرر الكتاب، وبين فيها وجه الصواب. كأنه توهم - عفا الله عنه - أننا من الطائفة التي لا تقيم وزن الشعر، ولا تحسن شيئاً من النظم والنثر.

وكذلك وجد خطأ من الناسخ في بعض الأحرف، فظنه من قبل المؤلف المصنف، ففضل بأن نبه عليه في طرر^(٤) الكتاب، فحصلنا عنده في مرتبة من لا يقيم وزن الشعر ولا يحسن الإعراب. ولولا ظن بنا هذا الرجل - وفقه الله - عجزاً عن الانتصاف والانتصار، كما توهم علينا الجهل بالإعراب وكسر الأشعار، لصممتنا عن مراجعته صممت الرّجيم، ولم نتشاغل بتصريف لسان في مجاوبة ولا قلم. ولكن سوء معاملته أحوج إلى الكلام، ولو ترك القطا ليلاً لنام. وقد قال الله تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ [البقرة ٢: ٢١٦]. ثم قال أبو

(١) هو محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي، أبو بكر بن العربي: حافظ للحديث، ولد في إشبيلية، وارتحل إلى الشرق، وبرع في الأدب، له: أحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ، وقانون التأويل، وغيرها. وهو غير محيي الدين بن العربي. الأعلام ٦: ٢٣٠.

(٢) أحمد بن عبد الله بن سليمان الشّوخي المعري: شاعر وفيلسوف، ولد في معرة النعمان سنة ٣٦٢هـ، وتوفي فيها سنة ٤٤٩هـ، ترجمته في: الأعلام ١: ١٥٧.

(٣) ينسب البيت إلى بشار بن برد، وإلى يزيد بن محمد المهلب (ت ٢٥٩هـ)، وهو في ديوان بشار ق ٥٥. ب ١٤ (ط. محمد بدر الدين العلوي)، وليس في ديوانه (ط. محمد الطاهر بن عاشور)، وهو في: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ١: ٥٢٠، ومغني اللبيب: ١٣.

(٤) الطرر: جمع طرّة، وهي الحاشية.

الطيب^(١):

[من الخفيف]

رُبَّ أَمْرٍ أَتَاكَ لَا تُخَمِّدُ الْقُمَّالَ فِيهِ وَتَحْمَدُ الْأَفْعَالَ
 وَقَسِي رَمِيَتْ عَنْهَا فَرُدَّتْ فِي نَحْوِ الرَّمَاةِ عَنْهَا النَّصَالَ
 فَأَوَّلُ مَا نَقُولُهُ لِهَذَا الرَّجُلِ - وَقَفْنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ - : إِنْ كَانَ مَا يَجْرِي مَجْرَى السُّهُوِ وَيَعْدُ مِنَ
 اللَّفْوِ، يُغَسِّتُ مِنَ الذَّنُوبِ، وَيَعْتَدُّ بِهِ فِي الْعُيُوبِ، فَقَدْ كَتَبْتَ بِخَطِّكَ فِي مَعَارِضَتِكَ إِيَّانَا أَشْيَاءَ
 صَحَّحْتَ فِيهَا وَحَرَّفْتَ، وَكَثَّرْتَ الْوِزْنَ وَلَحَنْتَ أَقْبَحَ لَحْنٍ، فَنَحْنُ نَتَوَخَّئُ فِيهَا مَعَكَ مَنَاقِشَةَ
 الْحِسَابِ، وَنَعَاتِبُكَ أَشَدَّ مَا يَكُونُ مِنَ الْعِتَابِ:

[من الطويل]

فَلَا تَغْضِبْنِي مِنْ سِيرَةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا وَأَوَّلُ رَاضٍ سِيرَةٍ مَنْ سِيرَهَا^(٢)
 وَلَقَدْ أَذْكَرَنِي أَمْرِي مَعَكَ حِكَايَةَ حِكَايَا الصُّوْلِيِّ^(٣) - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: «كَتَبْتُ إِلَى بَعْضِ
 إِخْوَانِي كِتَابًا، فَوَرَدَ عَلَيَّ جَوَابُهُ يَقُولُ فِيهِ: وَرَدَ عَلَيَّ كِتَابُكَ وَقَدْ أَعْبَتَ عَلَيْكَ حَرْفًا فَرَاغَهُ.
 وَأَفَانِي جَوَابُكَ وَقَفْتَ عَلَيْهِ، وَقَدْ عِبْتُ عَلَيْكَ قَوْلُكَ «أَعْبَتُ». وَهَذَا حَسَنٌ، تَبَدُّؤًا لِلْمَنَاقِشَةِ، وَنَهْيًا
 لِلْمَخَاصِمَةِ».

[من الوافر]

وجدناك - أعزك الله - لما انتهيت إلى قول المعري^(٤):

أُرَانِي فِي الثَّلَاثَةِ مِنْ سَجُونِي فَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْخَيْرِ النَّيِّبِ
 لِفَقْدِي نَاطِرِي وَلِزُومِ بَيْتِي وَكَوْنِ النَّفْسِ فِي الْجِسَدِ الْخَيْبِ
 كَتَبْتُ فِي الطَّرَةِ مَنْكَرًا لِرَوَايَتِنَا مَتَوَهَّمًا لِلتَّصْحِيفِ عَلَيْنَا الَّذِي قَرَأْنَاهُ: «سَجُونِي» - بِالشِّينِ
 الْمَعْجَمَةِ - فَأَيُّ مَدْخَلٍ هَهُنَا لـ «السَّجُونِ» - أَبْيَاكَ اللَّهُ -؟! وَهَلْ هَذَا مِنَ التَّصْحِيفِ الطَّرِيفِ؟! إِنَّمَا
 وَصَفَ الْمَعْرِي أَنِي مَسْجُونٌ فِي ثَلَاثَةِ سَجُونٍ، ثُمَّ فَسَّرَ السَّجُونِ فَجَعَلَ جِسْمَهُ سَجْنًا لِنَفْسِهِ، وَبَيْتَهُ
 سَجْنًا لِشَخْصِهِ، وَعَمَاءَهُ سَجْنًا لِبَصْرِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَرَى أَنَّ النَّفْسَ مَعْذِبَةٌ كَوْنُهَا فِي الْأَجْسَامِ، وَأَنَّ
 رَاحَتَهَا فِي مَفَارِقَتِهَا عِنْدَ الْحَمَامِ. وَبِنَحْوِ مِنْ هَذَا الْمَتَرَعِ سَمَّى^(٥) نَفْسَهُ رَهِينِ الْمُحْبِسِينَ.
 وَقَدْ كَثَّرَ هَذَا الْمَعْنَى فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ شِعْرِهِ اسْتِحْسَانًا لَهُ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَوْفِ هَذَا الْفَرَضَ

(١) البيتان في ديوان المتنبي ٣ : ٢٥٨ . المُعَال : الروم الذين أتوا بآلات الحرب .

(٢) البيت لخالد بن زهير، ونسبه ابن برقي إلى خالد ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي، وكان أبو ذؤيب يرسل له إلى محبوبته فأفسدها عليه فعاتبه أبو ذؤيب فرد عليه خالد بأبيات منها الشاهد . والبيت في لسان العرب (سير)، وروايته : «فلا تجزعن... فأول... - السيرة : المنهج والطريقة .

(٣) إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، أبو إسحاق، ولد في بغداد، وأصبح كاتباً للمعتصم بالله والواثق والمتوكل . توفي سنة ٢٤٣هـ . له جملة من الآثار المطبوعة والخطوطة . ترجمته في : الأعلام ١ : ٤٥ .

(٤) البيتان في اللزوميات ١ : ٢٤٩ (ط . دار صادر) - النَّيِّبُ : العيب الظاهر . يقال : نبه فلان عن عيوب الناس، أي يظهرها .

(٥) الكلمة ساقطة من المتن وكتبت في الهامش .

كله . فمنها، قوله^(١) :
 أتحدثُ للأرواحِ راحةً مطلقاً
 ومنها قوله^(٢) :
 أتأسى النفس للجمان تبلى
 وما ضرَّ الحمامة كسر ضنك
 ووجدنا من لحنك وتصحيفك أنك لما وصلت إلى قول المعري^(٣) :
 ولولا حفاظي قلت للمرء صاحبي
 أنكرت قولنا وكتبت في الطرّة: قول ابن مقبل^(٤) أقعدُ به^(٥) :
 يا صاحبي على ثأد^(٦) سييلكما
 إنسي أقيدُ بالمأثورِ راحلتي
 فاستطرفنا ما كتبه جداً، لأنك أردت أن تخطئنا من وجه واحد فأخطأت أنت من أربعة
 وجوه، أحدها: إنك كتبت «ثأد» بدالٍ غير معجمة، وهمزت الألف، وإنما هو «ثأج» - بالجيم
 غير مهموز، وهو ماءٌ لخثعم^(٨) . وفيه قول الشاعر^(٩) :
 يا دار مئة بالخفئس من ثأج
 سقيت أخلاف هامي الودق ثأج^(١٠)

(١) اللزوميات ٢: ٣٤١، وروايته:

- «فإن كانت الأرواح بعشيد فإراقها تنال رخاء فالجسوم سجون»
 (٢) اللزوميات ٢: ٣٨٨، ورواية الأول: «... وهل أسى الحيا الفراق دجن» .
 (٣) سقط الزند ٣: ١١٧٠، ق ٥٨، ب ٧. والحفاظ: رعاية الصحبة .
 (٤) مطموسة في الأصل والتكملة من سقط الزند .
 (٥) هو تميم بن أبي بن مقبل، من بني عجلان، شاعر مخضرم، توفي سنة ٣٧هـ: له ديوان شعر حققه ونشره
 المرحوم الدكتور عزة حسن. ترجمته في: الأعلام ١: ٨٧، ومقدمة تحقيق ديوانه .
 (٦) البيان في ديوان تميم: ٧٧، ق ١٠، ب ١٨-١٩، والرواية فيه:

يا جارتي على ثأج طريفكما
 إنسي أقيدُ بالمأثورِ راحلتي
 وهما أيضاً في شروح سقط الزند ٣: ١١٧٠ . ١٧٧١، وشرح الحماسة للبريزي ٤: ١١٣ (ط . بولاق)،
 ومعجم ما استعجم ١: ٣٣٣، ومعجم البلدان (ثأج) ٢: ٧٠ - المأثور: السيف. سقي به لأجل أثره، أي
 فرئده . وقيل هو السيف الذي به أثر، أي ثلم. أقيدها: يضرب عراقيتها. قال الخوارزمي في شرحه البيت:
 «وقد ملح في استعارته التقييد للعرقبة وأحسن حين قدم قوله: سيفك على قيدها ليعلم في أول المر أنه يريد
 بالتقييد العرقبة». سقط الزند ٣: ١١٧١ . وثأج، ثأج: ماء لبني القزح من خثعم من مياه بيثة، وقيل: هو في
 ناحية اليمامة.

- (٧) الثأد: القرّ والندى، والثد: النبات الناعم الغض .
 (٨) خثعم: قبيلة من معد، وهو خثعم بن أنمار، وقيل: خثعم اسم جبل سميت به القبيلة .
 (٩) لم أقف عليه .
 (١٠) ثأج: يهمز ولا يهمز، عين قريبة من البحرين، وقيل، هي قرية في البحرين. مز بها بن أبي بن مقبل على =

والوجه الثاني: إنك كتبت «يا صاحبي» وإنما هو «يا جارتني». كذا في شعر ابن مقبل.
ويدل على صحة ذلك قوله قبل البيت^(١):

قالت سليمة يبطن القاع من سُرع^(٢) واستهزأت تسربها^(٣) منسي فقلت لها
لولا الحياء وباقي الدين عبتكما ما أنتما والذي خالت حلومكما
لا خير في العيش بعد الشيب والكبر
ماذا تعيان منسي يا ابتسي عَصِر
بعض ما فيكما إذ عبتما عَوْرِي
إلا كحيران إذا تسري بلا قَدَر

ثم قال: يا جارتني، وعني بالجارتين سُلَيْمَى وتربها المتقدمة الذكر.

والوجه الثالث: إنك قلت: «ولو كنا على سفري»؛ فأثبت ياءً بعد الراء، وكأنك توهمت أنه أضاف السفر إلى نفسه، وتأنقت في تعريف الياء غاية التأنق ليتحقق خطوك غاية التحقق. وليس بعد هذه الراء ياء على الإطلاق. وهي ياء تزداد بعد حرف الروي للترثم إذا كان مكسوراً، كما تزداد بعده واو إذا كان مضموماً، وألف إذا كان مفتوحاً. ولا تصور الخط من هذه الأحرف الثلاثة إلا ألف، وسبيلها سبيل التنوين، نحو قول جرير^(٤):

أقلسي اللوم عاذلَ والعتابين وقولي إن أصبت: لقد أصابن
والوجه الرابع: إنك قلت معنى بيت ابن مقبل: «أقعد» بمعنى بيت أبي العلاء. وهو لا يشبهه لا في ذكر التفسير بالسيف لا غير؛ لأن ابن مقبل أراد أن يعربها للأضياف جوداً وكرماً. وأراد المعري عرقتها ضجراً من نزاعها إلى أوطانها وتبرماً. وإن غلطك في هذا لعجيب، لأن الشعر يدل على قلناه دلالة لا تخفى على متأمل. يقول جرير^(٥):

فلولاك بعد الله ما عُرفَ التدي ولا ثار بين الخافقين قَتَامُ
أنكرت قولنا: إن الخافقين هما المشرق والمغرب، وكتبت في طرة الكتاب لتعلمنا بوجه الصواب: المعلوم أن «الخافقان»: جانباً الأرض من الهواء، فأردت أن تخطئنا من وجه واحد فأخطأت أنت من ثلاثة أوجه، أحدها: إنك رفعت «الخافقين» وهما منصوبان بـ «أن». ثم صححت عليها فكان تصحيحك على اللحن أشد من اللحن. والوجه الثاني: أنك جعلت قولنا غير معروف وقولك هو المعروف. وهذا من المقلوب الذي قلناه نحن هو قول يعقوب بن

امرأتين فاستسقامهما فأخرجنا له الماء، فلما رآته أعور منعه الماء. شجاج: كثير الماء.

(١) ديوان تميم: ٧٦-٧٧، والبيتان الأول والثالث في معجم البلدان (أسن، وني)، والأول في معجم ما استعجم

للبيكري / ٧٣٥، ومعجم البلدان (سرح، سرع) واللسان (أسن، أسن). والبيت الثالث في اللسان (بعض).

(٢) سُرع: موضع في البحرين.

(٣) التُرب: المساوي في السن.

(٤) ديوان جرير: ٨١٣.

(٥) سقط الزند: ٦١٧، ق ١٨، ب ٣١. القَتَامُ والقَبَارُ واحد.

السكيت^(١) في إصلاح المنطق^(٢). وقال مثله أيضاً في كتابه «المثني والمكثي والمبني»^(٣). وكذلك قال أبو عبيد^(٤)، وأبو حاتم^(٥).

وكذلك قال الأصبهاني^(٦) في كتاب «أفعل من كذا»^(٧) فقولك هو الذي ليس بمشهور لا قولنا. والوجه الثالث من خطئك في هذه المسألة أنك رأيت شيئاً ولم تحسن العبارة عنه، أو رأيت في كتاب من لم يحسن إيراده فحكيت قوله.

وحقيقة هذا - أبقاك الله - أن هذه المسألة من المسائل التي أنكرها بعض اللغويين على يعقوب وقال: لا يصح أن يُقال للمشرق والمغرب خافقان، لأن الخافق هو المتحرك المضطرب، والمشرق والمغرب لا يوصفان بالاضطراب، إنما يضطرب الهواء فيهما أول الليل والنهار، فإنما ينبغي أن يقال لهما: مَخْفِقَانِ لا خافقان كما يقال لموضع الضرب مَضْرِبٌ، ولموضع الغرس: مَغْرَسٌ.

وهكذا يقال للقفز الذي يخفق فيه السراب. قال رؤبة^(٨):

وَمَخْفِقٍ مِّنْ لُّهُلِّهِ وَلُهُلِّهِ

وهذا الذي قاله هذا المعترض على يعقوب حكاه من وجهين، أحدهما: إن يعقوب لم يقله وحده، بل قاله جماعة غير يعقوب. والثاني: أن العرب قد تأتي بالمفعول به والمفعول فيه على صيغة فاعل، كقولهم^(٩): ماءٌ دافقٌ، وعيشةٌ راضيةٌ، وسرٌّ كاتمٌ، ونهارك صائمٌ، وليلك

(١) يعقوب بن السكيت (١٨٦-٢٤٤هـ) لغوي أصله من خورستان. من أهم كتبه: إصلاح المنطق. الأعلام ١٩٥:٨.

(٢) إصلاح المنطق: ٣٩٧.

(٣) ورد عنوان الكتاب عند السيوطي «المثني والمكثي والمؤاخي والمثبته والمنحل». وفي المزهرة أقسام من الكتاب. ابن السكيت للغوي: ١٠٤-١٠٥، ولأبي سهل الهروي (ت ٤٣٣هـ) كتاب «المكثي والمثني». انظر مقدمة تحقيق إسفار الفصح: ١١٩.

(٤) هو القاسم بن سلام الهروي (١٥٧-٢٢٤هـ): عالم بالحديث والأدب. الأعلام ٥: ١٧٦.

(٥) سهل بن محمد السجستاني (...-٢٤٨هـ): عالم باللغة والشعر. الأعلام ٨: ١٤٣.

(٦) وهو حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت ٣٦٠هـ). أهم كتبه: الأمثال السائرة، والتبیه على حدوث التصحيف.

(٧) صدر الكتاب مرتين، الأول بتحقيق د. عبد المجيد قطامش، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢. والثانية بتحقيق د. فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨. والقول في الأمثال السائرة ٢: ٥١٥، تح د. عبد المجيد قطامش و ٤٤٦ تح د. فهمي سعد.

(٨) ديوان رؤبة: ١٦٦، ب ٣٤، واللسان (لهله) مع بيتين آخرين. واللُّهُلِّهِ: الأرض الواسعة يضطرب فيها السراب.

(٩) الكتاب ١: ٣٣٧، ٤٠١، والفصوص ٢، ٢٣، واللسان (دفع)، وخزانة الأدب ١: ٤٤٦، قال القراء: «معنى دافق: مدفوق... وأهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم أن يفعلوا المفعول فاعلاً إذا كان في مذهب نعت، كقول العرب: هذا سرٌّ كاتمٌ، وهمٌ ناصبٌ، وليلٌ نائمٌ. وقيل: ماءٌ دافقٌ: أي ذو دَفْقٍ، وسرٌّ كاتمٌ: أي ذو كتمان».

قائم^(١). ولو جمع هذا النوع لجاء منه جزء ضخم، فمنه قول جرير^(٢): [من الطويل]
 لقد لمتنا يا أمَّ غَيْلانَ في السُّرى ونمتٍ وما ليل المطيِّ بنائِم
 وقرأت تفسيرنا له وجدتنا قد قلنا: إنه أراد أن الفلك محيط بالخلق والخلق قبضته لا
 يقدر على الخروج منه، فكأنه لم فيه من النجوم المشبكية شبكة أرسلها قانص على صيد فهو
 يضطرب فيها ولا يقدر على التخلص منها، فحملك قلة الثبُت على أن كتبت في الطرّة: هذا
 اللفظ لا يطلق إلا على الله - تعالى - ونسيت قول الله - عزَّ وجل - ﴿يا معشرَ الجنِّ والإنسِ إن
 استطعتم أنْ تنفذوا منْ أقطارِ السمواتِ والأرضِ فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ [الرحمن ٥٥:
 ٣٣] فوصف تعالى أن الخلق في قبضة الفلك لا يقدر على الخروج منه، فلم يزد الشاعر على
 معنى الآية أكثر من تشبيهه بالشبكة. فإن أنكرت أن يكون الفلك هو السماء بعينها أو
 [.....]^(٣) ذلك في القرآن العزيز. قال الله تعالى - جلَّ من قائل - : ﴿تبارك الذي جعل في
 السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ [الفرقان ٦١ : ٢٥] وقال: ﴿ألمْ تروا كيف خلق
 اللهُ سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً والشمس سراجاً﴾ [نوح ١٦ : ٧١] في هاتين
 الآيتين العزيزتين أن الشمس والقمر في السماء. ثم قال في آية أخرى: ﴿لا الشمسُ ينبغي لها أنْ
 تدرك القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهارِ وكلُّ في فلكٍ يسبحون﴾ [يس: ٤٥] فاستنتج من مجموع هذه
 الآيات أن الأفلاك السموات.

ولما وصلت إلى قوله^(٤):

[من الطويل]
 وإنِّي لمشرِ يا بنَ آخرِ ليليةٍ وإن عَرَّ مالي فالقُتُوع نِساء
 وجدت الناسخ قد عظم الرء فصارَت كالتون فنبهت عليه في الطرّة أنها «مُثر» لا «مثن».
 فهلاً تأملت - أبقاك الله - الشرح فيكون لك فيه كاف ومغن؟ ولكن صدق الله - تعالى - إذ يقول:
 ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ وكذا فعلت في مواضع كثيرة. كتبت الطرّة ما كنت غنياً عن كتابته لو
 تأملت الشرح كفعلك حين وصلت بالمطالعة إلى قول المعري^(٥): [من المنسرح]
 بالله يا دهرُ أدقِّ غرابِها موتاً من الصبح بياز كرز
 في نحو قولك: لألزمك أو تقضيني حقّي، ولأسيرن^(٦) في البلاد أو أستغني، وقول امرئ

(١) في الكتاب ١ : ١٦٠ : «نهاره صائمٌ وليله قائم».

(٢) ديوان جرير: ٩٩٣، ق ٤٧، ب: ٦، والكتاب ١ : ١٦٠، وخزانة الأدب ١ : ٤٤٦.

(٣) بعض الكلمات لم أستطع قراءتها.

(٤) شروح سقط الزند، ق ١٠، ب ٥، ج ١ : ٣٩٤. وروايته: «وإن عزَّ مال.....». والمراد: يا ابن
 آخر ليلة من ليالي الطهر. يقال: إن المرأة إذا حملت بالولد في آخر ليلة من طهرها كان مذموماً ويقال فيه:
 حملته أمه تفضاً ووضعاً. وإذا حملته في أول الطهر كان محموداً. والقتوع: القناعة. والمثري: المكثّر من
 المال.

(٥) لم أقف عليه في آثار أبي الملاء.

(٦) طمس نصف الكلمة في الأصل.

القيس^(١) :

فقلتُ له : لا تبسك عيُنك إنَّما نحاولُ ملكاً أو نموتُ فنُفدرا
وكنَّا رأيناك لَمَّا وصلت بالنظر إلى قول المعري^(٢) :

[من الطويل]

فكأني ما قلتُ والليل طفلاً وشبابُ الظلماءِ في العنقوانِ
ليلتني هذه عروسٌ من الزنج عليها قلائدٌ من حُمانِ

كتبت في الطرّة: «صوابه وروايته: والبدرُ طفل». وحكيت عن شيخك أنه فسره فقال:
يعني أول الشهر. وقد رأيت هذه الرواية في بعض نسخ «السقط» فلم أعرج عليها وأنزلتها منزلة
الغلط؛ لأنه كلام متناقض، وذلك أنه لا يصح أن يوصفَ بالطفولية إلا الهلال، لأنه في أول
نشئه.

وأما البدر فلا يجب أن يقال له: طفل، لأنَّ اسم البدر إنَّما يقع في تمامه وامتلأه. فمن
سمى البدر طفلاً كان كمن سَمَّى الكهل صبياً، والتام ناقصاً، فلا يصحُّ أن يسمى البدر طفلاً
ولا هلالاً، كما لا يصحُّ أن يسمى الهلال بدرأ. وأمَّا الليل فإنَّه يشبه في أول انبعاثه بالطفل، وفي
حين انتصافه واستحكام ظلامه بالكهل، وفي حال إدباره بالشيخ، وفي ذلك كثير من الشعر.

[من الطويل]

فمن مليح ما جاء في ذلك قول أبي فراس^(٣) :
لبسنا رداء الليل والليل راضعٌ إلي أن تردّي رأسه بمشيبِ
فجعل الليل في أوله كالطفل الراضع، وفي آخره كالشيخ الأشيب.

[من الطويل]

وقد وصفه أبو العلاء بالاكتهال في قصيدة أخرى، فقال^(٤) :
من الزنج كهلاً شابٌ مفرقٌ رأسه وأوثقٌ حتّى نهضه متشاقلُ
وقد أملتُ ببعض هذا المعنى استحساناً فقلت :

[من الطويل]

تري ليلنا شابٌ نواصيه كِبرةٌ كما شبتُ، أو في الجور روضٌ نهارِ
كأنَّ الليالي الشفعَ في الأفق جُمعتُ ولا فضلَ فيما بينها لنهارِ
ومما يدلُّ على أنَّ ذكر البدر هنا غلطٌ خروجه من التشبيه المذكور في البيت الذي بعده؛
لأنه شبه الليلة بسوداء، وشبهَ النجوم بقلائد الجمان، ولم يشبه البدر ولا الهلال بشيء.
ورأيناك قد زدت في القصيدة المهموزة بيتاً فاسد الوزن، وهو^(٥) :

(١) ديوان امرئ القيس : ٤٢٥ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١٤ ، ب ٧-٦ ، ج ١ : ٤٢٨ ، وروايته والبدر العنقوان : أول كل شيء
ومقدمه . قال البطلوسي ١ : ٤٢٩ : «وجعل الليل طفلاً في هذا الموضع طفلاً لا قبالة . وقد جعله في موضع
آخر كهلاً لما فيه من النجوم الشبيهة بالشيخ .

(٣) ديوان أبي فراس : ٣٩ .

(٤) شروح سقط الزند ، ق ١٦ ، ب ٣٣ ، ق ٢ : ٥٤٥ .

(٥) اللزوميات ١ : ٤٨ ، والرواية : «أنت يا آدم الشرب : القطيع من النساء والظباء - حواء : من اختلط =

[من الخفيف]

أنت يا آدأ! آدمُ السُّرب حواؤك فيه حسوءاً أو آدماءُ
وهذا البيت أسقطناه من الشعر متعمدين لإسقاطه لما فيه من الاستخفاف بآدم - صلى الله
عليه وسلم - وهكذا فعلنا بكثير من شعره. وإنما ذكرنا منه ما له تأويل حسن، فكيف أفسدت
علينا الكتاب بإثباته فيه وكان يجب أن تتزّه عنه كما تتزّهنا؟ وقوله: «يا آدأ!» أراد: يا آدم فرخّمه.
وأما معناه فلا حاجة بنا إلى ذكره، فاذكره أنت إن شئت كما ألحقته. ورأيتك لما وصلت إلى
قوله^(١):

[من الخفيف]

هذه الشهب خلّتها شبك الدهر لها فسوق أهل الماء
فإنك وجدت الباء من «باز» قد سقطت عليها نقطة فتوهمت أنا رويناه: «ناز» - بالنون -
فكتبت في الطرّة: «صوابه بياز». فهلاً قرأت الشرح فوجدت كلامنا على البازي، وتمثيلنا هذا
البيت بقول تميم^(٢) بن المعز؟:

وكان الصباح في الأفق بيازٍ والدُّجى بين مخلبيه غراب^(٣)
ما هذا الحيف - أبقاك الله - في الحكم، والميل إلى حيّر الظلم؟ أظننتنا جهالاً بهذا القدر،
كما توهمت أننا نكسر وزن الشعر؟ هلاً ذلك كتابنا على أن لنا حظاً من كثير من العلوم، وتصرفاً
في الحديث منها والقديم؟ وقد ضمنا معنى بيت المعري في شعر صنعناه، أيام الصبا، وقبل أن
يعظنا واعظ التهي، ونحن نستغفر الله منه، ونسأله التجاوز عنه، وهو:

[من الكامل]

يا ربّ ليلٍ قد هتكت حجابهُ
يسعى بها أخوى الجفون كأنها
بدران: بدر قد أمنت غروبه
فإذا نعمت برشفت بدر غارب
حتى ترى زهر النجوم كأنها
والليل منعمز يطير غرابه
بمسدامة وقادة كالسوكب
من خده ورضاب فيه الأشنب^(٤)
يشعى بيدر جانسح للمغرب
فانعم برشفة طالع لم يغرب
حول المجرّة ربرب في مشرب^(٥)
والصبح يطسره بياز أشهب

بياضها بسواد.

- (١) اللزوميات ١: ٤٧، ب ١٠ - الإلماء: أن يلقى الصياد شبكته على صيده.
- (٢) هو تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن محمد المهدي، ولد في تونس سنة ٣٢٧هـ، توفي سنة ٣٧٥ عن ثمانية وثلاثين عاماً. مقدمة ديوانه بتحقيق محمد حسن الأعظمي.
- (٣) البيت في ديوانه: ٧٠.
- (٤) الأحوى: الحوّة: حمرة ضاربة إلى السواد. والأشنب: برد الفم والأسنان، ويقال: الشنب: حدانة الأسنان وطراءتها، وقيل: صفاؤها ونقاؤها.
- (٥) الربرب: القطيع من الغنم.

ورأيالك - أبقاك الله - تصحيفاً طريفاً في قول المعري^(١):
 [من الطويل]
 تحلّي بأسنى الحلّي واحتلبي الغنى فأفضلُ مِن أمثالك الثَّقَر الشُّعْثُ^(٢)
 يسرون بالأقدام في سُبُل الهدى إلى الله حَزَنٌ ما توطَّأَن أو وَعْثُ^(٣)
 وما في يدِ قلبٍ، ولا أسوْقٍ بُرأ ولا مفرقٍ تاجٍ ولا أذنٍ رَغْثُ^(٤)
 ثم كتبت عليه: «هذا وهم»، وصوابه: «واجتنى الغنا». وكتبت على الحلّي: «الخلق»،
 وكتبت: المعنى مفهوم، وعليه يدلُّ ما بعده وخاصة الثالث من الأبيات. وليس لذكر الخلق
 واجتناب الغنى مدخل في هذا الشعر، ولا علّم كيف قام بياك أن البيت الثالث يدل على
 استحالة ذكر التحلي بالحلي واجتلاب الغنى في البيت الأول؟ إلا أن تكون توهمت أنه نقا القلب
 و«البُرا» والتاج، والرعث عن المرأة المخاطبة، وليس كذلك، وإنما نعني هذه الأصناف من
 الحلّي عن نفر الشعث، وأراد بهم الحُجَّاج فقال: الحُجَّاج الشُّعْثُ الذين لا يستعملون شيئاً من
 أصناف الحلّي زهادةً في الدنيا، وانقطاعاً إلى الله - تعالى - أفضل منك ومن أمثالك ممّن تحلّي
 بالحلي، ويجتلب أخلاق الغنى ويظن الفضل في ذلك.

[من البسيط]

وكذلك فعلت في قول المعري^(٥):

يا راعي المِضْرِ ما سومتَ في دَعَةِ وعِزُّسِك الشاةُ فاحذر جارك الذيبا
 كتبت مكان في «دعة» في «رغد»، وليس للرَّغْد هنا مدخل، إنما هو تصحيف تصخّف من
 الدعة. ومعنى الشعر يقتضي «الدعة»، لأنه يقول: يا راعي! أراك ترسل شاتك وتظن أنك في
 أمن من الذئاب، فكن على حذرٍ وخوفٍ لا على دعةٍ وأمنٍ، فإنَّ جارك ذئب يأكلها إن كان منك
 لها تسيب. وأما قول المعري^(٦):

[من الطويل]

هَجَرَ العِراقَ تطرَباً وتغسَباً ليفوزَ من سِطِّ العُلا بِغرابِهِ
 فإني رأيتك قد أنكرت كسر (الغين) من «غراب» وما فترناه، وكتبت في الطرة: هو ضرب
 من الحلّي: فليتك إذ كتبت هذا زدت أنه مضموم الغين فيسلم اعتراضك من الخطأ. ولكنك
 شرحت «الغراب» المكسور الغين بأنه نوع من الحلّي فلم يقم اعتراضك بخطئك. وهذا النوع من
 الحلّي إنما يقال له: عُراب - مضموم العين - وصورته صورة «الغراب» كما قالوا لنوع منه:
 «أرنب» لكونه على شكل الأرنب، ولنوع منه: «نخل» لكونه على شكل النخل.

(١) اللزوميات ١: ١٨٦، ب ٥٣.

(٢) الشُّعْث: مفردها أشعث وهو الذي لم يتعهد شعره بالدهن، والمراد هنا: الحجاج المحرمون للحج.

(٣) الحزن: ما غلظ من الأرض. الرعث: اللين من الأرض حتى تسوخ فيه القدم.

(٤) القُلب: الأساور. الأسوق: جمع ساق. والرعث: القرط.

(٥) اللزوميات ١: ١٠٢.

(٦) شروح سقط الزند: ق ٢٨، ب ١٣، ج ٢: ٧٢٣ - السقط: ما يعلق من الفلادة على الصدر. والغراب: جمع غريب أو غريبة.

قال رؤبة^(١):

[من مشطور الرجز]

وَعُلِّقْتُ مِنْ أَرْثَبٍ وَتَخَلِّ

وقد أولع الناس بروايته مضموم العين وعند نافيه رواية صرفتنا عن ذلك: أخبرنا أبو الفضل البغدادي^(٢) شيخنا في شعر أبي العلاء، قال: جرى بيني وبين رجل ببغداد تشاجر في هذا البيت فضم «الغين» وأبيت أنا إلا كسرهما، وقلت له: ليس للغراب الذي يراد به الحلبي من الفضيلة ما يوجب تخصيصه بالذكر إنما الوجه بـ «غرابه» - مكسور الغين - أي أنه فاز بالغريب من الحلبي الذي لا نظير له فيكون جمع غريب أو غريبة، وهو مدح لأنه يدخل في كل حلبي نفيس. فذكر أنه بالضم، رواه عن المعري. قال: فلما لقيت المعري أخبرته بما جرى فقال: أنا مسرور لحسن فهمك، بورك فيك! الكسر أفخم للمعنى، وأمدح للغنى فلا تروه عني إلا هكذا.

ورأيانك لما انتهيت إلى قول المعري^(٣):

[من الطويل]

وإن يكن واديننا من الشعرِ وإجداً فغيرُ خفيِّ أثله من ثمامه
أنكرت «الأثل» وعتضت منه «النبت»، وهذا تصحيف؛ لأن الثمام نوع من النبت. وإنما كان يصح ما ذكرت لو كان النبت اسماً واقعاً على غير الثمام. وإنما يستقيم الذي قصده بذكر «الأثل»؛ لأن «الأثل» شجرٌ قوي، و«الثمام» شجرٌ ضعيف.

وكذلك لما وصلت إلى قول المعري^(٤):

[من الرجز]

متسى يقولُ صاحبسي لصباحي بدأ الظلامُ موجِزاً فأوجِز^(٥)
ذكرت أنَّ الصواب «بدأ الصباح»، وهو خطأ؛ لأنه قد ذكر الصباح في البيت الذي بعده، وهو قوله^(٦):

[من الرجز]

ويطلعُ الصُّبْحُ وفوقَ جفنه منَ النجومِ حيلة لم تُخرِزْ

وإنما أراد إشراف الظلام وأخذه في الانحجاز، فلذلك استعار له لفظة الإيجاز. ونحو من

(١) ديوان: ق ٤٩، ب ١٠٠، ص: ١٣٠.

(٢) وهو محمد بن أبي سعد بن أحمد بن الحسن بن علي البغدادي: من بيت علم وإسناد، كان شيخ أصبهان، ولد سنة ٤٢٣هـ، وتوفي سنة ٤٨٠هـ في بغداد. ترجمته في: المنتظم ٩: ٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٨: ٥٣٢.

(٣) شروح سقط الزند: ق ١٥، ب ٣، ج ٢: ٤٧٤، والرواية فيه: «... نبت من ثمامه». الأثل: شجر قوي، وقيل: يقال له الطرفاء. والثمام: شجر ضعيف يسمى الخلفاء.

(٤) شروح سقط الزند ٢: ٤٧٥.

(٥) شروح سقط الزند: ق ١٣، ب ٩، ج ١: ٤٢٠، وروايته: «... بدأ الصباح...». قال البطلوسي: «إنما قال صاحبني لصاحبني، لأن العبارة جرت من الشعراء بأن يصف الشاعر منهم أن له صاحبين». شروح سقط الزند: ١: ٤٢٠.

(٦) شروح سقط الزند: ق ١٣، ب ١٠، ج ١: ٤٢٠، وروايته:

ويطلعُ الصُّبْحُ وفوقَ جفنه منَ النجومِ حيلة لم تُخرِزْ

قوله في قصيدة أخرى^(١):
وقد أعتدي والليل يبكي نأسفياً
فوصفه الليل بالبكاء على نفسه نظير وصفه بالإيجاز.

وكذلك لما وصلت إلى قوله^(٢):
عَنْ عَالِجٍ بَاتُوا بِرَمْلَةٍ عَالِجٍ فسي رُبُوتِي عَوْدٍ كظَهْرِ الْعَالِجِ
ذكرت أنك رويته عن شيخك أي زكريا: «رُبُوتِي عَوْدٍ» والأمر في هذا أمم؛ لأنه يحتمل
الوجهين وليس كالتصحيفات المتقدمة.

وما رويانا عن شيخنا أبي الفضل البغدادي وعبد الدائم القيرواني: «إلا ربوتِي عَوْدٍ»،
والعَوْدُ: الطريق القديم، شبه بالعَوْد من الرجال والإبل وهو الكبير المسن، قال الراجز^(٣):
[من مشطور الرجز]

عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ عَلَى عَوْدٍ خَلَقُ

أي: شيخ مسن على جمل مسن على طريق قديم. ووصف الطريق بالسن إشارة إلى قدمه
وبلاء من كثرة سلوك السالكين له، وما الذي أفدتنا - أعزك الله - أن كتبت على قول المعري حين
وصلت إليه^(٤):

بِأَشْنَبِ مَغْسُولِ الْغَرِيْزَةِ مُقِيمٌ لَسَانِيْفِهِ إِنْ الْقَيْمَةِ مِثْقَالُ
إِنْ مَعَطَاراً أَشْبَهَ مِنْ «مَغْسُولٍ». ونحن قلنا في شرحه: إن معطاراً أحسن لما فيه من
الطباقي، وهلا تأملته فلا تحتاج إلى تكلفٍ ما كتبت، إنما يستدرك على ما غلط فيه أو غفل عن
ذكره.

وكذلك لما ووصلت إلى قوله^(٥):
طسويست الصبا طي السجل وزادني زمان له بالشيب حُكْمٌ وإسجالُ
أنكرت (زادني) - بالدال -، وكتبت (وزارني) - بالراء - وما نعرفه إلا «زاد» - بالدال -

(١) شروح سقط الزند: ق ١٦، ب ٢٥، ج ٢: ٥٣٨. قال البطلوسي: «وصفه الليل بأنه يبكي على نفسه نأسفاً
من بديع الاستعارة ومليح الإيماء والإشارة وذلك أن الليل لما كان قد أشرف على الزوال والنهار قد أخذ في
الإقبال شبه بالذي أشرف على خنقه فهو يبكي على نفسه». شروح سقط الزند: ٢: ٥٣٩.

(٢) اللزوميات ق ٢٩، ب ١، ج ١: ٢٠٥، ورواية البيت: «عن لاعج... الفالج» - اللاعج الحزن والوجد.
والعالج: رملة بين ديار بني كلب. العَوْدُ: الطريق القديم. الفالج: الجمل ذو السنامين.

(٣) الرجز في شروح سقط الزند ٣: ١١٧٨، واللزوميات ٢: ٢٠٥، واللسان (عود).
(٤) شروح سقط الزند: ق ٥٩، ب ٢٤، ج ٣: ١٢٣٧، والمتفال: ضد المعطار، وهي التي لا تستعمل الطيب.
والقيمة: جَوْنَةُ العطر. والأشنب: فمها، وهو عطر بالطبع. والغريزة الطيب المستعمل. السائف: الشام،
وساف الشيء إذا شتمه.

(٥) شروح سقط الزند: ق ٥٩، ب ٣، ج ٣: ١٢٥٢، وروايته: «... وزارني...». الإسجال: مصدر أسجل إذا
عقد سجلاً. السجل: الكتاب، والكاتب أيضاً.

ومعناه صحيح. إنما أراد به طوى ثوبه صباحاً في حال الصغر، وزاده رغبة في طيِّه الشيب الوارد عليه عند الكبر^(١) ففَعَّ في حالتي صغره وكبره وامتنع من نيل لذاته ووطره، وهذا معنى حسن؛ لأن النسك المحمود أن يعفَّ الإنسان^(٢) في شبابه جديد ومحبوه مطاوع له على ما يريد، وذكر هذا في موضع آخر فقال^(٣):

تَشَكَّيْتُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ ضَرُورَةً وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَقُومَ الصَّوَارِخُ
وَكَيْفَ تَرْجِي أَنْ تُثَابَ وَإِنَّمَا يَفْضَلُ تُسْكُ الْمَرْءِ وَالْمَرْءُ شَارِحُ^(٤)
وأما كونها بمعنى العوض والبدل، فكقول طرفة^(٥):
بِمَا قَدْ أَرَى الْحَسَى الْجَمِيعَ بَغِيظَةً إِذِ الْحَيِّ حَيٌّ وَالْحَلُولُ حَلُولُ
وقول الآخر^(٦):

فَلَنْ كُنْتَ لَا تَحِيرُ جَوَاباً لَمَّا قَدْ تَرَى وَأَنْتَ خَطِيبُ
وأما تضمُّن بيت أبي العلاء لمعنى الجزاء؛ فوجهه أن يكون من المقلوب، وقد أراد أنه جعل لها الحرير خلافاً لما يخضبها نجيعاً؛ أي: يجيب إليها مجازاة على اختصابها بالدم في محاربة أعدائه.

والقلب كثير في الكلام المنشور والشعر المنظوم، كقولهم: أدخلت القلنسوة في رأسي، وأدخلت الخاتم في إصبعي. وإنما الوجه: أدخلت رأسي في القلنسوة، وأصبعي في الخاتم. وكذلك يقولون: أعطني درهمٌ زبداً، والوجه: أعطني زبداً درهماً. ومنه قول الفرزدق^(٧):

[من الطويل]

غِدَاةٌ أَحَلَّتْ لَابِسْنَ أَضْرَمَ طَعْنَةً حَصِينٌ عَيْطَاتِ الشَّرَائِفِ وَالْخُمْرُ
وقد جاء المعري بهذا المعنى غير مقلوب في قصيدة أخرى:

[من الطويل]

غَذَاهِنَّ مَحْمَرُ النَّجِيعِ قَوَارِحاً بِمَا قَدْ غَذَاهِنَّ الضَّرِيبُ مَهَاراً
كذلك وقع في بعض نسخ «سقط الزند»، وفي بعضها «كما». وقد يمكن أن يظن بيت المعري غير مقلوب فيكون قد أراد به الخير يختص بالنجيع في مرضاته مكافأة له على إحسانه إليها، ونحو قول أبي فراس الحمداني^(٨):

[من الطويل]

(١) الكلمة غير واضحة وهي منسجمة مع السياق.

(٢) الكلمة مطموسة في الأصل ويقترضها السياق.

(٣) ديوان أبي فراس: ١١٩.

(٤) الشارح: الشاب.

(٥) ديوان طرفة: ٨٢.

(٦) البيت مجهول القائل وهو في شروح سقط الزند ١: ٦١.

(٧) ديوان الفرزدق ١: ٢٨٣.

(٨) ديوان أبي فراس: ١١٩.

عَفَاكَ عَسِيٍّ إِنَّمَا عَقَّةُ الْفَتَى إِذَا عَفَّ عَنْ لِدَاتِهِ وَهُوَ قَادِرٌ
وقال أبو الطيب المتنبي^(١):

يُرْدُ يَدَا عَنْ ثَوْبِهَا وَهُوَ قَادِرٌ وَيَعْصِي الْهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهُوَ رَاقِدٌ
ورأيناك - أعزك الله - لما انتهى بك النظر إلى قوله^(٢): [من الطويل]

فَدَكَّرْنِي بَدْرُ السَّمَاءِ بَادِنَا شَقَى لَاحٍ مِنْ بَدْرِ السَّمَاءِ^(٣) بِإِلِ
أنكرت «السماوة» الثانية وكتبت: «السماوة» - بالهمز - فلم أنكرتها علينا؟ أحسبت أنها لا
تقال أم حسبت أنها أليق بالبيت؟ وكلا الأمرين لنا الظهور عليك؛ لأن أهل اللغة حكوا أنه يقال:
سَمَاءٌ وَسَمَاءَةٌ - بالهمز - وَسَمَاوَةٌ بِالْوَاوِ، وَسَمَاءَةٌ عَلَى وَزْنِ «قَطَاةٍ». فمن قال: سَمَاءَةٌ فَهَمْزٌ بِنَاهَا
عَلَى سَمَاءٍ كَمَا هُمَزَتِ السَّمَاءُ. ومن قال: سَمَاوَةٌ - بِالْوَاوِ - بِنَاهَا عَلَى الْفِعْلِ الَّذِي هُوَ سَمَا
يَسْمُو. وهذا كما يقال: امرأة سَقَاءَةٌ وَسَقَايَةٌ فَمَنْ هَمَزَ بِنَاهَا عَلَى سَقَاءٍ وَمَنْ لَمْ يَهْمَزْ بِنَاهَا عَلَى
سَقِيَّتٍ، فَهَذَا مَا فِيهَا مِنْ طَرِيقِ اللَّغَةِ.

وأما من طريق الترجيح بين اللفظتين؛ فإن السماوة أحسن لوجهين، أحدهما: أنه أفصح
اللغتين. لأنها أكثر استعمالاً، وأوسع مجالاً. ويدلُّ على ذلك أنهم قالوا في الجمع: سماوات،
وبذلك قرأ القراء ولا يكادون يقولون: سماعات.
والوجه الثاني: أنها أليق بالبيت لما تقدم في صدره من ذكر السماوة، فأفسدت على الرجل
التجنيس الذي جرى إليه، وحام فكره عليه. فما هذا الخلاف والعناد؟! وأين النظر الحسن
والانتقاد؟!
مركز تحقيقات كميون علم عربي

ورأيناك - أعزك الله - لَمَّا وَصَلْتَ إِلَى قَوْلِ الْمَعْرِيِّ^(٤): [من الوافر]

ذَكَيِّ^(٥) الْقَلْبِ يَخْضِبُهَا نَجِيعاً بِمَا جَعَلَ الْحَرِيرَ لَهَا خِلَالاً
قرأت شرحنا للبيت قراءة منتقدة، وتتبعته تتبع طالب للعثرات [.....^(٦)] فوجدتنا قد

- (١) ديوان المتنبي ١: ٣٩٠. وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة الحمداني مطلعها:
عَوَاذِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِيَّ حَوَاسِدُ وَإِنْ ضَجِيعَ الْخَوْدِ مَنِي لِمَسَاجِدُ
وقد علق ابن جني البيت بقوله: لو قدر على أن يقول موضع قادر: يقظان أو مستيقظ لكان أجود في
الصناعة، ولكنه لم يقدر. وردَّ أبو الفضل العروضي على ابن جني هذا النقد فقال: «وهذا النقد غير جيد؛
وذلك أنه لو قال: يقظان أو ساهر لم يزد على المعنى أنه تركها صلف نفس وحفظ مروءة لا عن عجز
ورهة...». نقلاً عن حاشية ٣ ج ١ ص ٣٩٠ من شرح البرقوق.
- (٢) شروح سقط الزند: ق ٥٨، ج ٣: ١١٩٧، وروايته: «السماة». والسماوة: يقال لها سماوة كلب. ويدر
السماوة: المحبوبة، والسماة: السماء. وشفا الشني: بقتة. البادن: السمين العبل الجسم.
- (٣) قال الخوارزمي: «قال الفراء: السماء كأنها جمع سماوة وسماة».
- (٤) شروح سقط الزند: ق ١، ب ٢٥، ج ١: ٦٠، وهو كذلك في ٢: ٦٤٠.
- (٥) ذكي القلب: متوقد القلب. النجيع: الدم الطري. الجلال: يكون للواحد والجمع.
- (٦) طمس لم أستطع قراءته.

قلنا: إنّ هذه الباء تسمى باء الجزاء وباء البدل وباء العوض. فكتبت في طرّة الكتاب متوهماً أنك ظفرت بشمرة الغراب: أين^(١) الجزاء؟ وإثما المعنى بأنه أكرمها بأن صيرّ جلالها حريراً استجاز أن يتبعها في الحرب حتى تختضب بالدم.

وقد أخطأت - أبقاك الله - من وجهتين: أحدهما: أنا لم نرد أن هذه الباء تكون بمعنى الجزاء في كل موضع^(٢)، وإنما أردنا أن نبين مواضعها من كلام العرب^(٣).

والثاني: أن هذا البيت لا يستنكر أن يكون فيه معنى الجزاء مضمناً على وجه تذكّره. أما كون هذه الباء بمعنى الجزاء فكقول العرب: «هذه بتلك والبادئ أظلم»^(٤). وقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ [الحج ٢٢: ١٠]. وكقولهم في المثل السائر: «يومٌ بيوم الخفض المجور»^(٥).

فيكون كقول مالك^(٦) بن نويرة^(٧):

[من الطويل]

جزانسي دوائسي ذو الخمارِ وَصُنْعَتِي بِمَا بَاتَ أَطْوَاءَ بَنِي الْأَصَاغِرِ
ورأيتك - أكرمك الله - لما انتهيت بالقراءة إلى قول المعري:

وما زالت الحُمُسر السرواهنُ للقرى تَكشِفُ غَمَّاتِ الوجوهِ السروامي^(٨)

كتبت في الطرّة: «الصواب: الروامي». وهذا لفظة وجدناها مفسّرة عن المعري أنها الثابتة

المقيمة كما قال الشاعر:

[من مشطور الرجز]

والماء والخبز لهنّ راهن^(٩)

وقوله: «للقرى» بيّن ذلك، أي أنّها محبوسة للقرى وقف عليه، كما قال الشاعر^(١٠):

(١) طمس بعض الكلمة ولعل الصواب ما أثبتته !.

(٢) طمس بعض الكلمة ولعل الصواب ما أثبتته !.

(٣) كتبت هذه الكلمة في النسخة الخطية على نحو تقرأ عليه: «الغراء»، ولست أجد لها مناسبة هنا.

(٤) ومنه قول أبي سفيان عند هزيمة المسلمين في أحد: «يوم بيوم بدر».

(٥) مثل أول من قاله الفرزدق - وهو في مجمع الأمثال ٢: ٤٠١ رقم ٤٥٨٩، والمستقصى ٢: ٣٨٨ رقم ١٤٢٧،

وتتمته: «وهذه بتلك فهل جزيتك يا عمرو؟» برقم ١٤٢٨ وتتمته: «البادئ أظلم»، وهما مثلاً يضربان في

المجازاة، وفي ديوان طرفة: «هذا بذلك»، وفي شروح سقط الزند ١: ٦٠، ٢: ٦٤٠: «هذا بذلك».

(٦) شروح سقط الزند: ق ١٩، ب ٣٣، ج ١: ٦٤٠، وروايته: «... الحليب...». والضريب: اللبن الذي

يخلط حامضه بحلوه، وثخينه برقيقه.

(٧) البيت لمالك بن نويرة، وهو في شعره: ٦٩ وتخريجه ثمة.

(٨) طمس جزء من الكلمة.

(٩) اللسان (رهن)، وروايته:

«الخبز واللحم لهنّ راهن» وقهوة راووقها ساكب

وطعام راهن: مقيم.

(١٠) لم أقف عليه.

[من الطويل]

حَيَّنَّا فَلَمْ تَشْرُخْ - لَكَيْلَا يَلُومَنَا لنفريه صبراً - معوذة الحنيس
وقول الآخر^(١):

وأموالنا وقفٌ على مبتغى القرى رواهسن للمستنيخين وللجُمَم
والمستنيخون: الذين ينيخون بالليل إذا لم يعلموا أين الحي . . . الكلاب فيها فيهتموا
بها. والجُمَم: جمع جَمَّة، وهم القوم يسألون العون في الديات.

[من الوافر]

ولمَّا وصلت إلى قول المعري^(٢):
زَمَانٌ لَا يُسْأَلُ بَنُوهُ خَيْرًا إذا لم يخلطوه بسالتمني
أنكرت «يخلطوه» وكتبت «يلحظوه» و«الخلط» بهذا البيت أليق من «اللحظ»؛ لأن التمني
إنما هو «الكذب» فأراد أن الزمان لا يصل بنوه إلى الخير الذي يؤملونه حتى يمزجو الباطل
بالحق، ويخلطوا الكذب بالصدق. وقد أوضح المعري هذا المعنى في موضع آخر من شعره
فقال^(٣):

تعالى الله فهو بنا خيرٌ قد اضطرت إلى الكذب العقول
تقول على المجاز وقد علمنا بأنَّ القول ليس كما تقول
وقال آخر^(٤):

تخلَّق مع الأقوام إن رمت ودهيم بصدق وكذب خفية وعلائية
فإن من الأقوام من إن صدقته طوي لك حقدًا أو رماك بداهية
ورأيناك لما انتهت إلى قول المعري^(٥):

وقد^(٦) تبين قدري أن معرفتي أبا الرضا سوف يرضيني عن القدر
ذكرت أن شيخك أبا زكريا إنما قرأه على المعري: «من تعلمين سترضيني عن القدر».
ومثل هذا - أبقاك الله - لا يعد خطأ، إنما هو لفظ قاله أبو العلاء ثم غيره، كما غير كنية الممدوح
الذي مدحه^(٧):

(١) لم أقف عليه.

(٢) اللزوميات، ق ٨٦، ب ١٢، ج ٢: ٣٨٥، وروايته: «... إذا لم يلحظوه بالتمني».

(٣) اللزوميات، ق ٢٣، ب ٢-١، ج ٢: ١٨٥.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) شروح سقط الزند، ق ٨، ج ١: ١٣٥، ب ٢٣، ورواية عجزه: «... من تعلمين سترضيني عن القدر».

(٦) الكلمة مطموسة في المخطوطة واستكملت من القط.

(٧) شروح سقط الزند: ق ٢٧، ب ٢٩، ج ٢: ٧١١. ابن فلان: مجاز يراد به المصاحبة الملازمة. والعرب

تقول: فلان ابن الليل، وأخو الحرب، والمراد أنه ملازم له غير منفك عنه. وقوله أبا فلان: كناية عن

الممدوح بهذا الشعر. شروح سقط الزند: ٧١٢.

أبى فلان دعساك الله مقتدرأ أبى المكارم وابن الصّارم الخليس
وكذلك فعل بأشياء كثيرة من شعره في آخر عمره. فمنها أشياء أسقطها بالجملة، ومنها ما
ذكر بعضه وحذف بعضه. ومنها ما غيّر لفظه إلى لفظ آخر استقباحاً له، كقوله في رثاء أبيه:

[من الطويل]

ورأها سليلُ الطين والشيبُ شاملٌ لها بالثريّا والسماكينِ والوزنِ
زمانٌ تسوّلتُ وأد حواءَ بنتها وكم وأدت من قبلِ حواءَ من قزّنِ
هكذا قال أولاً - فيما أخبرنا أبو الفضل البغدادي، ثم عوض منه: «في إثر حواء».
ورأيناك أيضاً لما انتهيت إلى قوله^(١):

[من البسيط]

بوقستِ لا يطيقُ الليثُ فيه مساورّة، ولا الأئيمُ اختيالاً
ذكرت أنك رويته عن شيخك أبي زكريا: «ولا السيّد». وما ثبت في أصلنا الذي رويناه إلا
«الأيم». ومثل هذا الخلاف لا يلتفت إليه.

ورأيناك لما وصلت بالتفح والنظر إلى قوله^(٢):

[من الطويل]

والعيشُ أين وفي مشوى امرىء دعةً والله فسردٌ وشربُ الموتِ مشركٌ
ذكرت أن الصواب: «مين» لا «أين». وهذا بيت ذكرناه في بعض كتب الشيخ كما ذكرت،
ووجدناه في بعضها كما ذكرنا فاخترت «الأين» على «المين» ورأينا أليق بذكر المشوى والدعة.
وإنما معناه أنّ عيش الفتى كأنه وطنٌ له قد تودّع فيه وسكن كأنه من فراقه قد أمن ولم يفكر في أنّ
كل ساكن في منزل فلا بد له أن يستقلّ عنه. أنّ شرب الموت مشترك بين الخلق لا بدّ لهم منه.
وهذا معنى نظر فيه أبو الطيب المتنبّي^(٣) في قوله: «أين».

[من الطويل]

ذر النفسِ تأخذُ وشعها قبلَ بينها فمفترقِ جاران دارهما العنبرُ
فجعل أبو العلاء العيش للإنسان وطناً كما جعل المتنبّي العمر داراً، فلا يقال في هذا
تصنيف وتحتة معنى شريف. والمين أولى بأن يكون صحيحاً؛ لأنّ المشوى والدعة لا يلتزمان
بالمين كالتزامهما بـ «الأين».

ورأيناك - أبقاك الله - قلت في قول المعري^(٤):

[من الوافر]

عفا أثري الزمان وما أغثت ضبَاعٌ في المحلّة تعفيني
إنه أراد: ضباع في منزلي تأخذ عَفْوِي ولم ترض قولنا: إنّ معناه: «تقصّد». وهذا خطأ من
وجهين؛ أحدهما: أنّه لا يقال: اعتفيتُ الرجل إذا أخذت عَفْوَهُ، واعتفيتُهُ: إذا قصدته. والخطأ

(١) شروح سقط الزند، السفر الثاني، القسم الأول، ق، ب، ٧٩، ج، ١: ١١١. والأيم: الحية، وكذلك الأين.
والمساورّة: الموائبة.

(٢) اللزوميات، ق، ١١، ب، ٨، ج، ٢: ١٥٠.

(٣) ديوان المتنبّي ٢: ٢٥٢.

(٤) اللزوميات، ق، ٨٩، ب، ٥، ج، ١: ٣٨٩.

الثاني: أن هذا التفسير لا يوافق معنى الشعر؛ لأنَّ المعري إنَّما أراد أنه فرَّ من الناس واستتر في منزله، وإذا همَّ - مع ذلك - واطنون إليه، مقتحمون عليه. ويدل على ذلك قوله قبل هذا البيت^(١):

قد استخفيتُ كالجسدِ الموارِي ولكنَّ الطوائفَ تختفيني
ومعنى «تختفيني»: تستخرجني، فكيف توهمت أنه أراد ضباعاً في منزله تأخذ عَفْوه؟ وأين النقد والحسَّ والزمن الزهق؟! هيهات ضاع ضيعة هبود ونام نومة عبود!
وهكذا رأيناك قد قلت في قوله:

لقد مسختُ قلبي وفأئك طائراً فأقسم ألا يستكنَّ عليّ وَكُنِ
أن الصواب: «لقد مسحتُ مني»، وإنما هو تصحيف نصَّحَفَ، ولفظ تحرَّفَ. إنما أراد الشاعر أن قلبه لا يستقر خفقانه، كما قال عروة بن حزام^(٢):

كأنَّ قطاةً علقتُ بجناحها على كبدِي من شدَّة الخفقانِ
وقال المجنون^(٣):

وداع دعا إذ نحن بالخيف من مني فهيج أحزان الفؤاد وما يدري
دعاً باسم ليلى غيرها فكأئماً أطار بليلى طائراً كان في صدري
وهذا كثير في الشعر جداً. ومنه قول بشار بن برد^(٤):

كان فؤاده ككرة تتسرَّى حذار اليبس لو نفع الحذارُ
ورأيناك لما وصلت بالقراءة والتصيح إلى قوله^(٥):

فإذا رأيت وليداً والنوى كئيباً يوم القيامة لم أعسده تبيكنا
ذكرت أن رواية شيخك «قذف». وهذا من الألفاظ التي ذكر أن المعري غيرَها في آخر عمره لما فيها من قبيح التأويل، والقال والقبيل، لأنَّ الكئيب: القرب، وهو الشيء القريب أيضاً، والقذف: ضده؛ فإذا قال: والنوى كئيب؛ فإن فيه تقريب الأمر، وأنه مقامه اليوم أو الغد. وإذا قال قذف، ففيه استبعاد ليوم القيامة.

(١) اللزوميات، ٣٨٩: ٢، والرواية فيه: «ولكن الطوارق تختفيني».

(٢) ديوان عروة بن حزام: ١٣، ٣٢، وتاريخ ابن عساكر ٤٧: ٢٢٨.

(٣) ديوان مجنون ليلي: ١٦٢، ومسالك الأبصار ٩: ١٤٢.

(٤) ديوان بشار بن برد: ٣: ٢٢٤، وروايته:

كان فؤاده يتسرَّى حذاراً حذاراً.....

وانظر اختلافات الرواية في هوامش ص ٢٢٤.

(٥) سقط الزند، السفر الثاني، القسم الرابع، ق: ٦٧، ب: ٤٦، ص: ١٦٠٢، وروايته:

«فإن لقيت..... قذف.....» - التبيكيت: قطع الإنسان بالاحتجاج والمناظرة حتى لا يقدر على

ورأيناك لما وصلت إلى قوله^(١):
 لا يرقبُ الموتَ مَنْ كان امراً فِطْناً فإِنَّ في العيشِ أرزاءَ وأحسدائاً؟
 وجدتنا قد فسّرناه ما يطابق غرضه وفحواه فقلنا: يقول: لا يحبُّ العيشَ ويكره الموت إلا
 رجل لا يفهم حقائق الأمور. وأما مَنْ فهم الحقائق فإنه يرى أن الموت خير له من الحياة، وهو
 نحو قوله - عزّ وجلّ -: ﴿يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا
 الموت إن كنتم صادقين﴾ [الجمعة ٦٢ : ٥]. فأخبر أن أولياء الله يحبون الموت ويتمنونه،
 فكتبت في الطرّة: هذا وهم قبيح، هذه معجزة لرسول الله - ﷺ - ذكرها ليهود فما منهم أحد
 تجرأ أن يتمنى الموت، ولو تمنّوه أو تمنّاه أحدهم لمات، وهذا اعتراض طريف. متى أنكرنا أنه
 معجزة للنبي - ﷺ - وما الذي أدخل ذكر المعجزة فيما نحن بسبيله؟

وإنما قلنا: إن في ضمن هذا الكلام إخباراً بأن أولياء الله يحبون لقاءه، وهذا ما لا ينكره
 مسلم. ولو لم تكن هذه صفة من صفات أولياء الله لما قامت بهذا حجة عليهم، ولكنه لما ادعوا
 أنهم أولياء الله قيل لهم: فتمنّوا الموت كمن يتمنونه لتصح دعواكم. ولكن من يعتقد أن النفس
 عرض تنحل بانحلال الأجسام لا يتمنى لقاء الجَمَام، وإنما يتمنى لقاءه من هو واثق ببقاء نفسه
 بعد هلاك جسمه، وهو خفيف الظهر والآثام والأوزار؛ فإنه حينئذ يقول ما قاله بعض الفضلاء
 الأبرار^(٢):

جزى الله عنا الموت خيراً فإِنَّه أبرُّ بنا من كل برٍّ وأرأفُ
 بمجّـل تـخـليـص النفوس من الأذى وبسدني من الدار التي هي أشرفُ
 وفي قوله تعالى: ﴿ولا يتمنونه أبداً بما قدّمت أيديهم﴾ [البقرة ٢ : ٩٥] نأ كافي، وإيضاح
 لهذا شاف.

فإن قيل: فكيف كره الأنبياء والفضلاء الموت مع معرفتهم بفضيلة الدار الآخرة، وما
 يصيرون إليه من الدرجات العالية؟ فالجواب: أنّ كراهيتهم للموت ليست من أجل^(٣) رغبتهم في
 الدنيا، وإنما ذلك لأمرين، أحدهما: ما يلاقون من عُصَصِ الموت^(٤) وألمه وسكراته وعُصَمه.
 والثاني: أن في بقائهم صلاحاً للعالم، وكفاً لهم عن التعدي والتظالم، فهم يحبون أن يمد لهم
 في البقاء ليستكثروا من^(٥) الأعمال، ويهتدي بهم أهل الزيغ والضلال فتكثر حسناتهم وتعلو
 درجاتهم^(٦).

(١) اللزوميات، ق٧، ب١، ج١: ١٨٨.

(٢) لم أعرف قائلها.

(٣) الكلمات مطموسة واجتهدت في قراءتها وتبينتها.

(٤) الكلمات مطموسة واجتهدت في قراءتها وتبينتها.

(٥) الكلمات مطموسة واجتهدت في قراءتها وتبينتها.

(٦) الكلمات مطموسة واجتهدت في قراءتها وتبينتها.

وقد قال رسول الله - ﷺ -: «لأن يهدي الله - تعالى - رجلاً واحداً خير مما طلعت عليه الشمس»^(١).

ولما وصلت إلى قوله^(٢):

لم يستريحوا من شرور زمانهم
إلا بنقلهم إلى الأحداث
كتبت في الطرة: «ديارهم أشبه». فليت شعري! فمتى صارت نسبة الشر إلى الديار عندك
أحسن إلى نسبه إلى الزمان؟! وما هذا الانتقاء الذي ينبغي أن يكتبه في الحرق والأكياد؟

ولما وصلت إلى قوله^(٣):

كأن الركض أبدي المحض منه
فمخ لبانه لبناً صريحاً
وجدتنا قد قلنا في شرحه «إنما هذا لأن عرق الخيل إذا جف عليها ابيض»، وأنشدتنا بيت
الغنوي يصف الخيل^(٤):

كأن يببس الماء فوق متونها
أشاريس ملح في جساء مجرب
وأنشدتنا شاهداً آخر على ذلك قول بشر^(٥):

تراها من يبس الماء شهباً
مخالط دزه منها غرار
كتبت في الطرة بقلم أحمر: «عرق: فرس الكندي مع كتمته». فما هذه الأعجوبة - أبقاك
الله - متى وصف الكندي قط عرق فرسه أنه أحمر؟! إنما قال^(٦):

كأن دماء الهاديات بنخره
عصارة جناء شيب مسرجل
فشبه حمرة دم الصيد على صدره بحمرة الحناء على الشيب، فانتقد هذا عليه بعض
أصحاب المعاني وقالوا: إنما كان يصح تشبيه حمرة الدم على صدره بحمرة الحناء على المشيب
لو كان الفرس أشهب. وقد ذكر الكمي في قوله^(٧):

(١) الحديث في صحيح البخاري: ٣٠٠٩، كتاب الجهاد والسير، باب (أفضل من أسلم على يد رجل) وروايته: «لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم». وانظر: صحيح البخاري: ح ٢٩٤٢، كتاب الجهاد والسير، باب (دعاء النبي - ﷺ - الناس إلى الإسلام والنبوة)، وفتح الباري ٦: ١٣٠.

(٢) اللزوميات ١: ١٨٩.

(٣) شروح سقط الزند: ق ٥، ب ١٩، ج ١: ٢٥٤. الصريح من اللبن: الذي لم يخالطه ماء، والصريح من اللبن أيضاً: ما سكنت رغوته.

(٤) ديوان طفيل ق ١، ب ٢٧، ص ٢٤، وشروح سقط الزند ١: ٢٥٤. والأشاعر: القطع. مائة الإبل: مبركها. المجرى: الذي أصاب الحرب إبله.

(٥) هو بشر بن أبي خازم الأسدي، والبيت في ديوانه: ق ١٥، ب ٤٨، ص ٧٥، وشروح سقط الزند ١: ٢٥٤، والمعاني الكبير ١: ١٠، واللسان «يسر» - يبس الماء: العرق الذي يجف. الشهب: جمع أشهب والشهباء وهو الأبيض والبيضاء. والمراد أن العرق يجف عليها فتيض. والدررة: درة العرق، وهو خروجه من الفرس. الغرار: قلة الدررة وانقطاعها.

(٦) ديوان امرئ القيس ١: ٢٦٦ - الهاديات: المتقدمات من الإبل. المرجل: المسرح.

(٧) نفسه ١: ٢٤٩ - الكمي: الأحمر الذي داخله السواد. الحال: موضع اللبد.

كَمِيتٌ يَزَلُ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مِثْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالسَّمْتِزَلِّ
 فَإِذَا صَحَّ أَنَّهُ كَانَ كُمَيْتًا بَطَلَ التَّشْبِيهُ . فَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّمَا قَالَ هَذَا ؛ لِأَنَّ الْفَرَسَ عَرَقَ وَيَبْسُ
 الْعَرَقَ عَلَى صَدْرِهِ فَايْبِضُّ فَصَارَ لِذَلِكَ كَالْأَشْهَبِ ، كَمَا قَالَ بَشْرٌ^(١) :
 تَرَاهَا مِنْ يَبِيسِ الْمَاءِ سُهْبًا
 فَرَدَّ عَلَيْهِ آخَرُونَ فَقَالُوا : قَدْ وَصَفَ أَمْرُ الْقَيْسِ فَرَسَهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِقْ فِي قَوْلِهِ^(٢) :

[من الطويل]

وَلَمْ يَنْضَخْ بِمَاءٍ فَيَغْسِلِ

فَبَطَلَ مَا اعْتَذَرْتُمْ بِهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ خَصْمَاؤُهُمْ بِأَن قَالُوا : لَمْ يَنْفِ عَنْهُ أَمْرُ الْقَيْسِ الْعَرَقَ فِي
 جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ عَيْنٌ فِي الْفَرَسِ .

وَإِنَّمَا وَصَفَ أَنَّهُ صَادٌ قَبْلَ أَنْ يَعْرِقَ ، وَهَذَا لَا يُبْطَلُ أَنْ يَكُونَ عَرَقٌ . وَالِدَلِيلِ عَلَى أَنَّهُ عَرَقَ
 بَعْدَ الصَّيْدِ قَوْلُهُ^(٣) :

وَرُخْنَا وَرَاخَ الطَّرْفِ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلَ
 وَلَمْ يَنْفِ بَعْدَ .

وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُ الْمَعَانِي فِي اخْتِصَابِ صَدْرِهِ بِالْدَمِ عَلَى أَيِّ جِهَةٍ كَانَ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَرَادَ
 أَنَّ رَاكِبَهُ لَمَّا طَعَنَ الثَّوْرَ أَوْ النَّمِجَةَ ثَارَ الدَّمُ مِنَ الطَّفْنَةِ إِلَى صَدْرِهِ فَاخْتَضَبَ بِهِ . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ
 كَانُوا يَخْضِبُونَ قَوَائِمَ الْفَرَسِ أَوْ صَدْرَهُ بِدَمِ صَيْدِهِ لِيَعْلَمَ مَنْ يَرَاهُ أَنَّهُ قَدْ صَادَ ، وَاحْتَجَّوْا بِقَوْلِ
 أَمْرِئِ الْقَيْسِ^(٤) :

وَقَامَ طَوَالَ الشَّخْصِ إِذْ يَخْضِبُونَهُ قِيَامَ الْعَزِيزِ الْفَارَسِيِّ الْمَنْطَقِي
 وَقَالَ :

فَرُخْنَا بِهِ يَنْضَوُ الْجِيَادَ عَشِيَّةً مَخْضِبَةً أَرْسَاغُهُ وَعَوَامِلُهُ
 وَرَأَيْتُكَ لَمَّا وَصَلْتَ إِلَى قَوْلِ الْمَعْرِيِّ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

وَيَسُوشِعُ رَدَّ يَوْمًا بَغْضَ يَبُوحٍ وَأَنْتَ مَتَى سَفَرْتَ رَدَدْتَ يَسُوحًا
 وَجَدْتَ فِي الشَّرْحِ أَنَّ بَعْضَ النَّسَابِيِّينَ ذَكَرَ أَنَّ يَوْشَعَ ابْنَ أُخْتِ مُوسَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا
 وَسَلَّمَ - فَكَتَبَتْ فِي الطَّرَةِ : إِنَّمَا هُوَ عَبْدٌ «مُوسَى» فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهَذَا شَيْءٌ لَا يَلْزَمُنَا ؛ لِأَنَّ
 لَمْ نَنْكُرْ أَنَّهُ كَانَ فَتَى «مُوسَى» ، وَإِنَّمَا حَكِينًا مَا قَالَهُ النَّسَابِيُّونَ : فَإِنْ كَانَ مَا قَالُوهُ صَحِيحًا فَلَيْسَ فِي

(١) سبق تخريجه .

(٢) بعض بيت لامرئ القيس ، وتمامه :

فَعَسَادِي عِبْدَاءُ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَمِجَةٍ دِرَاكَا ، وَلَمْ يَنْضَخْ بِمَاءٍ فَيَغْسِلِ
 ديوان امرئ القيس ١ : ٢ - الطَّرَف : كل شيء كريم من الفرس ، والأنثى : طَرْفَةٌ .

(٣) البيت في ديوان امرئ القيس : ٦٣٨ ، ق ٣٤ ، ب ٣١ - المنطق : ذو المنطق . العزيز الفارسي : شبيهه بالرئيس
 من الفرس المعظم عندهم .

كونه عبد «موسى» وفتاه ما يناقض ذلك وبأباه؛ لأنَّ العبد يسمَّى به غير المملوك، وذلك معروف في اللغة، كقول الشاعر^(١):

[من الوافر]

نَعَى النَّاعِي الزَّبِيرَ فَقَلْتُ تَنَعِي فَنَى أَهْلَ الْحِجَارِ وَأَهْلَ نَجْدِ
خَفِيفَ الْحَاذِ، نَسَّالَ الْفِيَّافِي وَعَبْدًا لِلصَّحَابَةِ غَيْرَ عُبْدِ
ورأيتك لَمَّا انتهيت إلى قول المعري:

[من الوافر]

أفوقَ البدرِ يسوِّعُ لي مهَادُ أم الجوزاء تحبَّتْ يسدي وسادُ؟
عارضنا في شرحه في موضعين، أحدهما: أنَّ قلنا إنَّ هذا استفهام يستدعى به تقرير المخاطب على أمر قد ثبت وعُرف. والمراد أن ينبه على أمر يتوقع أن يكون ينكره، أو قد غفل عنه، وأن يعجل توطئته ومقدمة الأمر يرادُ إنتاجه منه، فكأنه قال: ألسْتُ قد اتخذت البدر مهاداً؟ ألسْتُ قد اتخذت الجوزاء وساداً، فلم تراضِ بقولنا، وأنكرت دخول «ألسْتُ» ها هنا، وما ذكرناه من معنى التوطئة والمقدمة^(٢)، وكتبت في الطرة: هو استفهام فيه معنى التعجب من إعجابه بنفسه، ولا يقدر بـ «ليس»، وهي من حروف النفي. ولو تأملت - أبقاك الله - حقَّ التأمل لرأيت أنَّك لم تأتِ بشيء غير ما قلناه؛ لأنَّ التعجب مضمَّن فيما ذكرناه، ولم يرد أن لفظ البيت كما هو ويقدر بـ «ليس»، إنَّما أردنا أن المعنى راجع إلى ذلك. وبيان هذا أنَّ حرف النفي إذا دخل عليه حرف الاستفهام دخل الكلام معنى التقرير، واستدعاء ما المخاطب من إثبات لما يقرَّر أو والشيء المسؤول عنه ثابت في نفسه، ولكن يتوقع من المخاطب أن ينكره. فإذا قلت لمن تخاطبه: ألم أحسن إليك؟ فمعناه أتقولُ إنِّي لم أحسن إليك؟ فلذلك يقول هو في جوابه: «بلى» دون «نعم»؛ ليحقق الإحسان ويعترف به. ولو قال: نعم لحقَّق النفي وكان معناه: نعم؛ لم تحسن إليَّ. فإذا اعترف بإحسانك إليه قلت له حينئذٍ فلمَ لم تشكر ذلك؟ فنتجج له من التقرير استحقاق الملامة استيجاب العقوبة، ويتضمَّن الكلام معنى التعجب للسامعين من سوء معاملته إياك مع إحسانه إليك، وتوالي أياديك لديه.

وكذلك لو قلت له: ألسْتُ قد أحسنتُ إليك؟ لأفاد ذلك المعنى بعينه. فلما كان غرض المعري أن يعجب المخاطبين، ويقدمه على مرتبته في الشرف آل معنى كلامه إلى معنى قول من يقول: ألسْتُ قد اتخذت البدر مهاداً؟ ألسْتُ قد اتخذت الجوزاء وساداً؟ فظهر كلامه راجعاً إليه

(١) البيتان في حماسة أبي تمام، حماسة رقم ٣٤٢، وفي شرحها للأعلم ١: ٥٠١، ونُسب إلى كعب بن زهير وليسا في ديوانه، وفي شرحها للخطيب التبريزي ١: ٤٠٧، وبلا نسبة في شرح المرزوقي ٢: ٩٨١، ٣٤١١، والثاني في اللسان (حوذ).

الحاذ: الحال، والمراد: خفيف الحال من المال، وأصل الحال: طريقة المتن من الإنسان. والحاذات: أدبارُ الفخذين، وقيل: هو الظهر. النَّسَّال: قطاع الفيافي مسرح فيها. عبداً للصحابه: هو كريم الصحبة، حسن التوفيق على الرفاق.

(٢) شروح سقط الزند: ب ١، ج ١ ص ٢٨١.

وإن كان ذلك غير ظاهر فيه . ومن هذا الباب قول جرير^(١) :
 أَسْتَسِمُّ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمُطَايَا وَأَنْتَدِي الْعَالَمِينَ بِطُوْنٍ رَاحِ
 هو تقرير وتعجب معاً فقال له عبد الملك بن مروان^(٢) : بلى ، نحن كذلك . ولو قال
 جرير : أنتم خير من ركب المطايا لكان جوابه : نعم ، نحن كذلك . والمعنيان راجعان إلى غرض
 واحد ، وإن اختلف الجوابان واللفظان .

فهذا الجواب عن اعتراضك الأول . وأما اعتراضك الثاني ؛ فإننا قلنا في الشرح : إننا خصر
 البدر وقد كانت الشمس أتوه في الذكر ، وأعظم في الفخر لما أراد من التصاعد من أول مرتبة في
 الفخر إلى آخر مرتبة فيه . فذكر البدر الذي هو أقرب الكواكب إلينا ، ثم تصاعد إلى الجوزاء التي
 هي في الفلك الثامن ، وهي أرفع مراتب الكواكب ، فكان أن أخذ بطرفي الفخر .

وتكلمنا على تخصيصه الجوزاء دون سائر الكواكب الثانية ، لئلا يطول ذكره فعارضتنا بأن
 كتبت في الطرة : لا . إننا ذكر البدر لأجل ذكره الجوزاء والليل يجمعهما . ولو ذكر الشمس مع
 الجوزاء لافترقا له وافترق المعنى . وهذا الذي قلته - أبقاك الله - معنى آخر ممكن أن يقال . غير
 أن الذي أومأنا نحن إليه ، ونبئنا عليه أحسن معنى ، وألطف مغزى . والشعراء يستعملون التصاعد
 من الأدنى إلى الأعلى مبالغة في المعاني ، فتقول : هو كوكب ، بل هو بدر ، بل هو شمس ،
 فيكون أبلغ من قولهم : هو شمس دون أن يذكر البدر والكوكب . وأما اعتراضك بأنه لو ذكر
 الشمس مع الجوزاء لتناقض الكلام ؛ لأن الشمس تطلع بالنهار ، والجوزاء بالليل ، فكلام غير
 صحيح^(٣) ؛ لأن الجوزاء طالعة بالنهار مع وجود الشمس كطلوعها مع وجود القمر ، وإن كانت
 تمتنع من رؤيتها الأبصار ؛ لأن نور الشمس يغلب جميع الأنوار ، وكيف تنافرها الشمس وهي من
 بروجها ومن أوجها؟ وأما قولك : والليل مجمعهما ؛ فكلام طريف ؛ لأن الموضع الذي في الشمس
 والجوزاء لا يصل إليه الليل والظلماء ، كما يصل الليل إلى موضع الليل ، ونحن نمسك ها هنا
 عن الكلام ، ونقبض عن العلم تأدياً ، كقول المتنبي^(٤) :

أَبْلَغُ مَا يُطْلَبُ بِهِ الْقَضْدُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الرَّسْلُ
 ورأيك - وفقنا الله وإياك - لعمري وصلت إلى قول المعري^(٥) :

فبعداً لهذا الجسم - يا روح - مسلماً وبعداً لهذا الروح - يا جسم - سالماً
 توصلت ما استحدثت الوصل منكما عجائب كسانت للرجال مهالكاً

- (١) ديوان جرير : ٨٩ ، ب ١٥ ، وشروح سقط الزند ١ : ٢٨٠ .
- (٢) عبد الملك بن مروان ، أبو الوليد : من دهاة خلفاء بني أمية ، نشأته في المدينة ، استعمله معاوية على المدينة المنورة وهو ابن ست عشرة سنة ، كان متعبداً ، ناسكاً ، ضابطاً للأمور . الأعلام ٤ : ١٦٥ .
- (٣) الكلمة مطموسة في المخطوطة .
- (٤) ديوان المتنبي ٣ : ٣٣٦ ، وروايته : « والطبع » .
- (٥) اللزوميات ٢ : ١٥٤ .

فأنكرت علينا في بعض كلامنا أن الروح طاهر شريف، والجسم دونه موات لا يقع عليه تكليف، وكتبت في الطرّة: صوابه: موجود شريف، وكيف حدثت باقترابهما خطيئة، وهو قول يقدم الأعراض، أو مجاز لا يعدم انتقاضاً^(١).

وهذا كلام أول ما ينتقد منه فساد الإعراب بترك نصب «الانتقاض» ووجهه الانتصاب. وبعد ذلك تقول: كيف أنكرت قولنا: إن الروح طاهر شريف، وقد طهره الله - تعالى - وشرفه وكرّمه على النفس، وقدمه في القرآن المنزّل علينا، وفي كتبه المتقدمة لنا؟ أما في كتابنا العزيز؛ فإنه نسب الشر إلى النفس فقال: ﴿إن النفس لأماراة بالسوء﴾ [يوسف ٩ : ١١٢]، ولم يقل: إن الروح لأماراة بالسوء. وذكر أنّ النفس هي المثابة المعاقبة فقال: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ [المدثر ٧٤ : ٣٨]، وقال: ﴿أن تقول نفس يا حسرتنا على ما فرّطت في جنب الله﴾ [الزمر ٣٩ : ٥٦] الآية. ولم يقل في الروح شيئاً من هذا، بل قدّسه وشرفه بأنّ أضافه إليه فقال في آدم - عليه السلام -: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ [الحجر ١٥ : ٢٩]، ولم يقل: ونفخت فيه من نفسي. وقد أجمع المسلمون على الاستعاذة بالله من شرور أنفسهم لا من شرور أرواحهم، فهذا ما في كتابنا العزيز، وملتنا الحنيفة التي شرفنا الله بها.

وأما في ملل غيرنا؛ فذكر وهب بن منبه^(٢) (٣٤ - ١١٤ هـ) أنه وجد فيما قرأه من التوراة وكتب الله المنزلة أن الله - تعالى - قال: إني خلقت آدم ورغبتُ بدنه من أربعة أشياء، ثم جعلتها وراثته في ولده وذريته، تنشأ في أجسادهم وينمّون عليها إلى يوم القيامة؛ وذلك أنّي رغبتُ جسده من رطب ويابس، وسخني وبادر؛ وذلك أنّي رغبتُ من ترابٍ وماء، ثم نفختُ فيه نفساً وروحاً، فببوسة جسده من التراب، ورطوبته من الماء، وحرارته من النفس، وبرودته من الروح، وذكر كلاماً طويلاً قال فيه: فمن النفس تكون حدته وحفته ولعبه ولهوّه، وضحكّه وسفهّه، وخداعه وشكره، وعنفه وخرقه. ومن الروح يكون جلمه ووقاره، وعفاهة وحياؤه، ونقاؤه وصفاؤه، وكرمه وصدقه، ورفقه وصبره، فنسب إلى النفس الأمور المذمومة، وإلى الروح الأمور المحمودة.

فصارت الروح بظاهر ما ذكرناه أشرف من النفس، وذلك خلاف ما يقوله المتفلسفون؛ لأنّ النفس عندهم أشرف من الروح، فكان الشيء المسمّى في الفلسفة نفساً هو المسمّى في الشرائع روحاً. وهذا مجال ضيق لم يكن بنا حاجة إلى الخوض فيه لولا ما رأيناه من أنكارك علينا ووصف الروح بالطهارة. وكذلك تهّمك أن فيما قاله المعري، القول يقدم العرض توهم فاسد، وكلامك فيه منتقض.

ورأيناك - وفقنا الله وإياك - قد قلت: إنّ تفريقنا بين الزمان والدمر تحكّم، وأنّ لك في

(١) في الأصل: «انتقاض»، وسببه المؤلف عليها في الفقرة التالية.

(٢) هو: وهب بن منبه الصنعاني، أبو عبد الله: مؤرخ، عارف بالإسرائيليات، معدود في التابعين. ولادته ووفاته في صنعاء، ترجمته في: الأعلام ٨ : ١٢٥.

ذلك تحقيقاً ذكرته في كتاب «المقيسط»، فليتنا رأينا حتى نرى ما قلت في قول الله - عز وجل -: ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ [الحج ٢٢ : ٤٧]، وقوله: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج ٧٠ : ٤]. فمن أي قسم يعد هذان اليومان؟ أم من قسم الدهر أم من قسم الزمان؟ ووجدنا النبي - ﷺ - قد ذكر الدهر في قوله: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»، ولم يذكر الزمان.

وكذلك قالت العرب للذي قول بالدهر: «دَهْرِي» بفتح الدال، وللمسن: «دُهْرِي» بضم الدال، ولم يقولوا: «زَمْنِي». وقالوا: لا أفعله دَهْر الداهرين، ولم يقولوا زمن الزامنين، ولا زمن الزمنين. ولعل كتاب «المقيسط» سيقع إلينا فنرى ما تضمنه - إن شاء الله -.

ورأيك - وفقنا الله وإياك - قد أنكرت علينا قولنا: إنَّ المعريَّ كان لا يرى أكل اللحم، ويعتقد أنَّ ذبح الحيوان من الظلم. وذكرت أنَّه كان يمتنع من أكله لعله بجسمه. وبدلاً على ذلك ما قلته استفاضة الخبر بذلك عنه، وما في شعره منه. بل كان يغلو في ذلك ويفرط، حتى إنَّه كان ينكر أكل البيض واللبن ونحوهما مما يختص بالحيوان كقوله في صفة الديك - وهي قصيدة قد أنشدناها وشرحناها - أولها^(١):

أيا ديك! عدت من أياديك صيحة
ولو كنت لي ما أرهفت لك مدية
ولم يُنفل ماءً كي تُمزق حلّة
ولا عمت في الخمر التي حلال طعمها
وكقوله يخاطب حمامة:

بعثت ميت الكرى وهو نائم
ولا رام إفتاراً بأكلك صائم
حبّك بأسناها العصور القدائم
كأنت في غم من السيل غائم
[من الطويل]

فلا تنغني في الأصائل عكرما
وراق مع البعث الحنيف المخضرم
وأطرب ذا سُك أخسر مجرم
بمكر ولكنني أغاديك مكرم
أخا الأثر أياماً وإن كان محرم
من السدم تجني وجدك المتضرم
شبيتها إذ لم تري الدهر مهنم
فظل على الريش النهوض محرم
يرأوح خيطاً شدّه بك مبرم
ليقتصر منه، أو ليغرم مغرم

أعكرم^(٢)! إن غيّت ألفت نادياً
بنظم شجا في الجاهلية أهلها
وقد هاج في الإسلام كل مولد
لك التضح متي لا أعاديك خاتلاً
إذا ما أخذت الصقر يوماً فحاذري
يصوغ لك الغاوي قلادة هالك
وكم شحنت كفاه مثلك في ضحى
وراع بقصر من جناحيك أمناً
وقد يبرم الحين القضاء بناشيء
كما قيض السلطان جلف جناته

(١) اللزوميات ٢ : ٢٦٨.

(٢) اللزوميات ٢ : ٢٩٤. العكرمة: الحمامة، وأجراها مجرى العلم فرحها.

فزوري وبساري الفقر من كل وابر
 بحيث توافين الصحابي مغوراً
 وحلي ثقافي إن أطقت بلوغه
 وكقوله ينكر أكل البيض في قصيدة قد أنشدها^(١):
 وإلا فرومي خلف ذلك مخرماً
 من الناس، والماء السمائي خضراً
 فأفني لديه عُمرِكَ التصرماً
 [من الوافر]

وما الطيبات مني خائفات
 فلا تأخذ ودائع ذات ريش
 وله أشعار كثيرة في مثل هذا النوع.

وأخبرني أبو الفضل البغدادي^(٢): سمعنا في شعره: لما مرض أبو العلاء مرضه الذي مات فيه، وكان ذلك في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، وكان قد بلغ ستاً وثمانين سنة، ودخل عليه الطبيب ورأى ما به من الضعف. فلما خرج قال لأهله: لو أكل اللحم لرجعت إليه قوته وتماسكت، فبالاً فهو هالك، فسئلوا عليه ذلك فأخبر بما ذكر الطبيب، وقيل له: ما عليك في أكل اللحم حتى تراجع قوتك ثم تستمر بعد ذلك على مذهبك؛ فأنزل ذلك منزلة أكل الميتة عند الضرورة. فأجاب إلى ذلك، ثم سمع صوت دجاجة تستغيث. فقال: ما لها؟! قالوا نريد ذبحها، ويصنع لك منها طعام. فقال: ناولوني إياها. فأخذوها ولمسها، فوجدها ترعد، وقلبها يخفق. فقال: إن لم تبق نفسي في جسمي إلا بهلاك هذه النفس، فلا أبقاها الله! خلوا عنها.

وهكذا رأيناك قد أنكرت علينا قولنا: إنَّ ذا النون الأحميمي الزاهد من الباطنية. وقلت: الباطنية لفظة تقع على الزنادقة و«ذو النون» رجل فاضل. وهذه اللفظة لا تقع على الزنادقة فقط، كما قلت. بل هي في الحقيقة لفظة يصح أن يُسمَّى بها كل من خالف الظاهرية. إلا أن هذه اللفظة جعلت لفظاً للقرامطة والإسماعيلية وغلبت عليهم. وهو قوم يظهرون محبة علي - رضي الله عنه والتشيع له - ويزعمون علم الباطن وأسرار القرآن والشريعة، ويقسمون الأنبياء إلى ناطق وصامت، والأدوار: دور ستر ودور كشف، ولهم مذاهب سخيفة. ولأبي بكر الباقلاني كتاب في الرد عليهم.

وقد نرّه الله - تعالى - ذا النون أن يكون منهم؛ فإنَّ كفر هذه الفرقة لا يخفى على من له أدنى بصر. وإنما أردنا بقولنا المذكور: إنَّه كان ممن يقولون بالباطن مع قوله بالظاهر، وكانت له مشاركة في العلوم القديمة مع خيره وفضله. والصوفيّة كلها تقول بالباطن، إلا أنَّ منهم من كان يُفُرط في ذلك إفراطاً يخرج به إلى الكفر، نعوذ بالله من الخذلان.

ورأيناك - وفقنا الله وإياك - قد عارضتنا في أشياء من العلوم النظرية: مثل مخالفتك لنا في الدهر والزمان والدهر، وإثبات إرادة الإنسان. وقولنا إنَّ النفس جوهر باقٍ لا يهلك بهلاك

(١) اللزوميات: ٣٥٨.

(٢) هو: محمد بن أبي سعد أحمد بن الحسن بن علي البغدادي، ثم الأصفهاني، من بيت علم وإسناد، ولد سنة ٤٢٣هـ، وتوفي سنة ٤٨٠هـ في بغداد. المنتظم ٩: ٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٨: ٥٣١.

الأجسام، ونحو هذا مما يمتدّ فيه باع الكلام، كأنك نعمت علينا أن تقتصر هذه الأمور النظرية على مذهب الأشعرية. ولو شئت لأجبتك عنها كما فعلنا بالأمور الأدبية فاستدلّ ببعض على بعض.

واعلم بأنّ اتباع الناس على آرائهم ليس بواجب ولا فرض، ولا سيما بمن ينزه نفسه عن أن يكون من أهل التقييد الذين ينادون بعيد. وليس إمساكنا عن القول في هذه الأشياء والخوض فيها جهلاً منا بأغراضها ومعانيها، ولكنها أمور نكتفي بالإشارة والتلويح عن الإبانة والتصريح، فنحن نطويها على غرمها، مخافة أن تدنسنا بعرفها.

وليس يخفى التعسف والإنصاف، ولا يعلم ما في الخُفّ إلا الله والإسكاف.

وكذلك رأيناك قد عبثنا بذكرنا بعض الفلاسفة المتقدمين من الطبيعيين والإلهيين، وذلك أمراً قد اضطررنا إليه؛ إذ كان شعر هذا الرجل يبعث عليه، لأنه سلك بشعره مسلك الشعراء، وضمّنه نكتاً من المذاهب والآراء، وأراد أن يرى الناس معرفته بالأخبار والأنساب، وتصرفه في جميع الآداب. ولم يقتصر على ذكر مذاهب المشرعين حتى خلطها بمذاهب المتفلسفين. فتارة يخرج ذلك مَنْ يرد عليهم، وتارة يخرج مخرج مَنْ يميل إليهم. وربما صرّح بالشيء تصريحاً، وربما لوّح به تلويحاً. فمن تعاطى تفسير كلامه وشعره، وجهل هذا من أمره، بعد عن معرفة ما يومية إليه، وإن ظنّ أنه عثر عليه؛ ولهذا لا يفسر شعره حقّ تفسيره إلا من له تصرف في أنواع العلوم، ومشاركة في الحديث منها والقديم. فلم يكن بُدّ من ذكر المعاني التي أومى إليها، وحام فكره عليها، كمثل ما أنشد من قوله^(١):

أزرى بك المُبرأ يا بئس تقيماً
وخالفك هيلاجك الكُرْ خُذَاهُ
فطسال منك العمر في شقوة
كاليتم استولى عليه خُذَاهُ
كأتما النّضبة قذ أومسات
للفقير والبؤس وقالت: خُذَاهُ
فهذه قطعة لا تبيّن إلا بذكر مذاهب المنجمين.

ونحو قوله^(٢):

شكّل غدا يجذبسه شكّله
كالأرقم المرهوب من مُنكبه
تساكلا في البرد فاستجمعا
والبرد يُدني الشيء من مركزه
ونحو قوله^(٣):

يا لست شعري! وهل لست بنافمة
ماذا وراءك أم ما أنت يا فلّك؟
كم خاض في أمرك الأقوام واجتهدوا
قديماً، فما أوضحوا ولا تركوا
شمس تغيبُ ويقفوا إثرها قمرٌ
ونسورُ صبح يوافي بعده حلكُ

(١) لم أقف على الأبيات في آثاره.

(٢) لم أقف عليهما.

(٣) لم أقف على الأبيات في آثاره.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إسفار الفصيح: أبو سهل الهروي، دراسة وتحقيق د. أحمد محمد قشاش، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٠ هـ.
- إصلاح المنطق: ابن السكيت، حققه أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، ١٩٧٠، دار المعارف، القاهرة.
- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.
- أوضح المسالك: ابن هشام الأنصاري، شرحه محمد محيي الدين عبد الحميد، المطبعة العصرية، صيد، لبنان.
- تاريخ التراث العربي: د. فؤاد سزكين، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- تاريخ ابن عساكر: ابن عساكر، ج ٤٧، تح. سكيته الشهابي، مجمع اللغة العربية بدمشق.
- تميم بن المعز لدين الله الفاطمي: د. حفني شرف، ١٩٦٧، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.
- الجبال والأمكنة: الزمخشري، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٥٧ هـ.
- حماسة أبي تمام: تح. د. عبد الله عسيلان، ١٩٨١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- خزانة الأدب: عبد القادر البغدادي، تح. عبد السلام هارون، ١٩٦٨، القاهرة.
- ديوان أبي فراس الحمداني: جمعه وحققه وشرحه المرحوم الدكتور سامي الدهان، ١٩٤٤، بيروت. ونسخة أخرى تح. د. محمد التونجي، ١٩٧٨، المستشارية الإيرانية، دمشق.
- ديوان امرئ القيس: تح. د. أنور أبو سويلم، مركز زايد للتراث، العين، ٢٠٠٠ م.
- ديوان بشار بن برد: محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع.
- ديوان بشار بن برد: جمعه السيد محمد بدر الدين العلوي، ١٩٦٣، دار الثقافة، بيروت.
- ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي: تح. المرحوم عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق.
- ديوان تميم بن أبي مقبل: تح. المرحوم عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق.
- ديوان تميم بن المعز الفاطمي: تح. محمد حسن الأعظمي، ١٩٧٠، دار الثقافة، بيروت.
- ديوان جرير: تح. نعمان أمين طه، ١٩٧٠، دار المعارف، القاهرة.
- ديوان ذي الرمة: تح. د. عبد القدوس أبو صالح، مجمع اللغة العربية، دمشق.
- ديوان رؤبة بن المعجاج: وليم بن الورد، مجموع اشعار العرب، برلين، نسخة مصورة.
- ديوان الشماخ بن ضرار: تح. صلاح الدين الهادي، ١٩٦٨، دار المعارف، مصر.
- ديوان طرفة بن العبد: تح. درية الخطيب، ولطفي الصّقال، مجمع اللغة العربية، دمشق.
- ديوان طفيل الغنوي: تح. محمد عبد القاهر أحمد، ١٩٦٨، القاهرة.
- ديوان المعجاج: صنعه الأصمعي، تح. أستاذنا الدكتور عبد الحفيظ السطلي، ١٩٧١، المطبعة التعاونية، دمشق.
- ديوان علقمة الفحل: تح. درية الخطيب ولطفي الصّقال، المكتبة العربية، حلب.
- ديوان الفرزدق: ط ١، ١٩٩٢، دار الكتاب العربي، بيروت.

- ديوان القُطامي: جمعه د. إبراهيم السامرائي، ود. أحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت.
- ديوان المتنبي: شرح عبد الرحمن البرقوق، ١٩٨٦، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ديوان مجنون ليلى: جمعه وحققه عبد السلام فرّاج، دار مصر للطباعة.
- رسائل أبي العلاء المعري: تح. د. عبد الكريم خليفة، ١٩٧٩، عمان، اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر.
- سير أعلام النبلاء: الحافظ الذهبي: تح. مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- شرح ابن عقيل: تح. محمد محيي الدين عبد الحميد.
- شرح حماسة أبي تمام: الأعلم الشتمري، تح. د. عبد المفضل حمّودان، مركز جمعة الماجد.
- شرح حماسة أبي تمام: التبريزي، ١٩٢٧، ط ٣، مط. دار السعادة، مصر. وطبعة بولاق، ١٢٩٦ هـ.
- شرح حماسة أبي تمام: المرزوقي، تح. أحمد أمين، وعبد السلام هارون، ط ١، ١٩٥١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة.
- شعر عروة بن حزام: جمعه د. إبراهيم السامرائي، ود. أحمد مطلوب، كتبت مقدمته ١٩٦٠ م.
- شروح سقط الزند: تح. مصطفى السقا وزملائه، ١٩٤٥، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
- فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، ط ١، ١٩٨٦، دار الريان للتراث، القاهرة.
- الفصوص: صاعد البغدادي، تح. عبد الوهاب التازي سعود، ١٩٩٤، المغرب.
- الكتاب: سيويه، تح. عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت.
- اللزوميات: أبو العلاء المعري، تح. أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الهلال، بلا تاريخ، القاهرة.
- لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت.
- مالك و متمم ابنا نوية: ابتسام مرهون الصقار، ١٩٦٨، مط. الإرشاد، بغداد.
- مجمع الأمثال: الميداني، دار النصر، بيروت.
- المستقصى من الأمثال: الزمخشري، عالم الكتب، بيروت.
- معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.
- معجم ما استعجم: البكري، ١٩٥١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- مغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري، تح. د. مازن المبارك، وعلي حمد الله، دار الفكر.
- المنتخب من شيوخ السمعاني: تح. د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط ١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٦، الرياض.